رواية
أشرف توفيق
أحببتك.. متعة
www.war2h.com

اشرف مصطفى توفيق

اهبك متعة

رواية

ورقة دوت كوم
WAR2H.COM
بيت القارئ والكاتب

.....

الجزء الأول :

يقطع مدينة ليون نهران هما الروم والسون (السين)، ومن هنا كنيتها "مدينة النهرين".ويتلقي النهران جنوبي مركز المدينة ويشكلان ما يشبه الجزيرة في المركز. مركز مدينة ليون محاط من الشرق ومن الغرب بتلّيْن مرتفعيْن: على الأول في الغرب تتركز مؤسسات وأماكن دينية كثيرة، بينما يحوي التل الشرقي الكثير من ورش الحرير.

إلماحٌ:

وواصل عنبسة بن سُحيم الكلبي– سيره، لفتح المسلمين لبلاد الغال:" فرنسا – حاليا" عام ١٠٢هجرية ووجد الطريق أمامه خالية، فسار مسرعًا دون أن يلقي مقاومة وصعد حتى أدرك نهر الساءون، فاستولى على أوتون، واستمر في زحفه الظافر، فقذف الله في قلوب الكفار الرعب فلم يتصدَّ أحد منهم للمسلمين إلا لطلب الصلح، واجتاح المسلمون مدينة أوزه، وفيين، وفالنسي، ووصلوا إلى مدينة ليون التي يسميها العرب "حصن لودون"، كذلك زحفوا على مدينة ماسون، وشالون، ووصلوا إلى مدينة "سانس" عاصمة إقليم "يوند" على بُعد ثلاثين كيلو مترًا فقط جنوبيّ باريس، وقد تصدت هذه المدينة للزحف الإسلامي، فكانت آخر ما وصل له الفتح ويبدو أن القائد المسلم عنبسة بن سُحيم قد أدرك بعد هذا التقدم الظافر الذي جعله يقترب من باريس أنه توغل في قلب فرنسا أكثر مما ينبغي، فقد طالت خطوط العودة، فخشي أن تُقطع عليه بعد أن ابتعد مسافة ألف ميل شماليّ قرطبة، كما أن أحوال الأندلس قد بدأت تتغير بظهور العصبيات

المختلفة؛ مما دعاه إلى العودة بعد هذا النصر وهكذا وصلت لليون (حصن لودان) كما سماها اجدادى العرب، وفى جامعة ليون Université de (Lyon) كانت منحة الدراسة،والأفرع الثلاثة الرئيسية لجامعة ليون هي:جامعة كلود برنار، وجامعة لوميير ،وجامعة جان مولان في ليون.. والاخيرة هى مكان دراستى حيث يدرس فيها الانسانيات والقانون _كانت ليون _ لا تستهويني، وكنت أهرب منها لباريس، ونيس، ولولا الْمنحَة والدراسَة فِي جامعتها ما فكرت حتَّى فِي زيارتها.وفيها كثرَة من عرب شمال أفريقيا الذين لا يقيمون علاقات حميمَة مَعَ الْمصريين؟!وفي الاستاد الخاص بِهَا أعيدت لأول مرَّة مبارَاة رسمية فِي كرَة الْقدم بين منتخب مصر ومنتخب زامبيا الأفريقي كانت مصر فائزَة فِي نفس الْمبارَاة بالقاهرَة، ولكن طوبَة من مُتَفرِّج بالْمُدرَّجات غير معروف،وتمثيلية ساذجة من الْفريق الزانبي، ونوايا سيئة وسياسَية وقحة وقلة حيلَة مصرية أعا دت الْمبارَاة؟ لتخسر مصرالْمبارَاة ومعها أمل الذهاب لكأس الْعالم؟! ليخرج عرب شمال أفريقيا " الفرانكوفنية" والفرنسيين مبتهجين بفوز زامبيا!! لذا لم تكن ليون تميمَة حظ بالنِّسْبَة لي. .فلقد أعطت ما عندها لمصري وحيد هو "طه حسين".

الفصل الاول:

أصْبَحْتُ أمام مطعمٍ أعرِفُه،بحثْتُ بِعَيْنَيَّ عن ركن بعينه،كان المكان ممتلئًا بالنَّاسِ من كُلِّ بِقَاعِ الأَرْضِ، شمال أفْرِيقْيا، لِبْنَان بعض أَهْل الْخَليج وكَثْرَة عِرَاقِيَّة وَسُورِيَّة أَشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ.لَكِنِّي تَذَكَّرْتُهَا فَشَعَرْتُ براحَة لا أعرف مَصْدَرَها،كان وجودُها معي يجعلني أتحَدَّي غُمُوضَ الأماكن جمعتني بها دراسَةُ القانون،بعد أن سيطر القانونُ الْفرنْسي على منطقتنا – بما يُعْرفُ بِالقُوَّةِ النَّاعِمَة – قَدَرٌ نَاعِمُ الخُطَى فِي جامعَة ليون ! جمعتْنا قليلا قاعات الدَّرس..وكثيرًا الصُّدَف ! أنا فِي مِنحَةٍ دراسيَّة قصيرَة أبحث عن صحيح النَّص الْقانونيِّ (ظاهِره وباطنه) وهي فِي دراسَة مُعَادِلَة لِتَعملَ كَمحاميَّة بفرنسا، هِيَ تبحث عن مكامِنِ ضَعْفِ النَّصِّ وأنا أُقَدِّس النَّص ولا أَخرُج عليه بِحُجَّةِ ضَمَان النِّظام واستمرار حركَة المجتمع وهِيَ تتحايل عليه،تلاعِبُه لا مانع عندها من الإفْلات من قسوته، فهِيَ لها أيضًامصالحُها والغريبُ أنَّ النَّص يسعُنا ويعطِيناولا يتمَلْمَل؟!ولسْنا إلا وَسَائِل لِيُجْرِيَ الْقَدرُ المشيئَةَ – مَنْ يُدانُ ومَن يُفلتُ.

الْمَكَان بِزجاجه الْملوَّنِ وبديكوره الْبسيط يُوحِي بأزمِنَةٍ أُسْطوريَّة مشربيَّات بالأَرَابِيسك الْمُتداخل،عَاشِق ومَعْشُوق، مشكاوات مُتناثِرَة هُنَا وهُنَاكَ، قُلَل فخَّاريَّة تخرج منها إضاءَة خَافِتَة تَتلوَّن بلَوْن جَوْف الْفخَّار، فترى كل ألوان قوس قزح؛ الأحمر يتداخل بالأزرق والأصفر يطل من الأخضر، النِّساءُ كثيرات بجَمالِهِنَّ، وأناقَةِ مَلابسِهِنَّ الْعَاريَةِ عفويَّة،جِلستُهُنَّ تُظْهِر مِن أفْخَاذِهِن أكثر بكثير مِمَّا تعوَّدْتُ فتُعْطِي الْمكانَ مَذاقَ الْمُعاصَرَة ! وكيف لا.. ونحن فِي فرنسا؟!

ماذا حدث للذُّكور؟! أغلب الْمَناضِد الَّتِي حولها فرنسيَّات بِدُون رجال! حَلَقَاتُ الدُّخَان من فَمِ الْفرنْسيَّات لها تداعِيَات خَاصَّة، هل هذه الْمناضِد: (جيتو خاص

أم أنَّ فرنسا تعرِف الْحرَمْلِكَ؟!) بَاقي النِّساءِ منَ الْجِنسيَّات الْعربيَّة مُرْتَبِكَات بين السُّفُورِ والْحِشْمة،مع تدرُّجٍ مِزاجِيٍّ فيما يُظْهِرْنَ من الشَّعر،أخَصْلَة تكفي؟ أم حِجَابٌ لا يُظْهِرُه ؟! أو إطْلاقُه على حُرِّيَّتِهِ لِلنَّسِيم ليقول آهاتٍ؟!

على كل حال الْفُرجَةُ والْبحْلقَةُ أكثرُ إثَارَة.

الْمَكَان بزُجاجِه الْملَوَّن وبديكوره الْبسِيط يُوحِي – كما قُلْت – بِأزمنَةٍ أسْطوريَة كِتَاب كولن ويلسون (جُذورُ الدَّافِع الجنسي) بين يَدَيْ فرنسيَّة فِي الثَّلاثِين يتجسَّد وهِيَ مُستغرِقَة فِي صفحاته، تتململ تركَتْ كِتابَها،عَيْناها ترمِيَان من الْمجْهول إِلَى الْمجهول!! النِّساءُ لا يَصْبِرنَ على الْقراءَة؟! غلاف مجلَّة لامرأَةٍ عَارِيَة – فَرَشتْ رمْلَ الْبحر ونامت وتغطَّت بالشَّمْس– إنَّها نَاعومي عارضَةُ الأزياء. فأيُّ زِيٍّ تَعْرِضُ وهِيَ "بلبوص" ؟! مِشْكاوَات متناثرَة هُنَا وهُناكَ، عِبَارَة (w.c) فِي نهايَة مَمَرٍّ.

تذَكَّرْتُ ما قَاله طَهَ حُسيْن فِي روايته (أديب) عن فرنسا .. بلاد الجِنِّ والْملائكَة، ولكن هل تنزِل الْملائكَةُ فِي حُضورِ النِّساءِ ؟! أتذَكَّرُ أَنِّي طرحتُ هَذَا السُّؤَالَ عَلَيْهَا من قَبْلُ، كُنَّا فِي (كان).. وَقْتَ مِهَرجَانِها السِّينِمَائي الشَّهِير) مشْدُودٌ كنتُ لِلأُبَّهَةِ والْبَالو ودلال نجمات السِّينِمَا، والرُّجُولَة اللامِعَة لبعض الْمُمثِّلين الْعالَميِّين، والْمُوضات والْملابس الْجذَّابَة.قلت: هو فِي كده!! أم هو السَّرَاب. سراب الْمدن السَّافرَة!؟فرقَصَتْ يمينا ويسارا فِي بنطلونها الْجينز الضَّيِّق وهِيَ تقول

Quelle surprise: .ده فِي كده وكده ؟!

بانت تضَارِيسُها.. حسدتُ الْجِينز الْمُمسك بنصفها الأسفل فِي إحكام تحسده عليه الأنظِمَة الْقمعيَّة!.فجاء السُّؤَالُ الْغَبي: هل تنزِل الْملائكَةُ فِي حُضور النِّساء؟! تهكَّمت عليَّ بأنِّي جَمَل صحراوي!! وفي الْمُدن .. لا يوجد سراب!! فالْملائكَة ترافق النِّساء، وأنَّ مريم الْعذراء كانت ترافقها الْملائكَة! وأنَّ الأنبياء أفضلُ من الْملائكَة، وكان لكلِّ امرأَة واحدَة،.أوأكثر.التوراَة تقول: إن النَّبي داود كان عنده

٩٩ امرأَة وكان مُستعدًّا أن يرسل ضابطًا عنده إِلَى الْحرب على الْحدود بعيدًا لِكَيْ يضم إليه زوجَة الضَّابِط فيُكمِل مائَة امرأَة!!

كنَّا قد اقتربنا من دار الخيالَة (السِّينِما).. فلم أُعَلِّق على ردِّها الْمُفاجِئ والطويل، فلماذا لم أقل لها بأنَّ النَّبِي داود عاتبه الله على عِشقِه الْمِئَوي لأنه نظر إِلَى مُتَع جارِهِ، ولم يشكر على ما عنده فيظَلُّ السُّؤَال مَطْروحًا؟! هل لأنِّي أمسكت يدها وأخذت أعُدُّ الخَواتِم في أصابعها؟! أم لأني مثلُ النَّبي داود لم أكتف يوما بنعجة واحدة، فكيف سيتم عتابي أو عقابي وأنا ليس لي فِي الْغرام إلا أقل من عُشْر داودَ ؟!

بَدَا فيلم " **disclosure** " وفيه: "امرأَة تُرَاوِد مَرءُوسَهَا فِي الْعَمَلِ جِنْسِيًّا (ديمي مور).. وما أدْراك ما ديمي مور؟! فتُهَدِّدُهُ بأن لم يفعل ستَدَّعِي عليه التَّحَرُّش بِهَا حتَّى تصل به إلى الْمحاكم؟! ويكفي أن تقول – وبلا شهود – وتقضي تمامًا على مستقبله رغم أنها هي الْفاعل لا الْمفعول به؟!"

سألتْني ونحن بالسينما:

– ما هو التحرش؟ أهُنَاكَ شيء عنه فِي الْقانون الْمصري؟

– : لم نعرفْه بَعدُ! (مايكل دوجلاس يخاف.. فالقانون فِي هذه الْجريمَة يحمي الْمرأَة فقط ؟ مع أن أهم ما فِي الْقانون فكرَة (التجريد) أي أن يُطبَّق على الكافَّة؛ الوزير والغفير، الرَّجل والْمرأَة)

قلت – : **Vive l'amour** .. هل يُقاوِم أحدٌ (ديمي مور) ؟!

قالت : بل من الَّتِي لا تراود (مايكل دوجلاس) عن نفسه ؟!

(الْقانونُ هُنَا لا يقبل الْقولَ بالتحرش الْجنسي من رجل ضد امرأَة حتَّى ولو وقع من رئيسته فِي الْعمل ؟!) ..

(وديمي مور لا تهدأ إن لم يفعل ما تأمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين . ولكن الْقانون يقبل بسهولَة الْعكس.. التحرُّش الْجِنسي مِن رجل ضدَّ امرأَة؟!)

قلتُ: الْباب الرَّابِع من قانون الْعقوبات عندنا من الْمواد: ٢٦٧ حتَّى ٢٧٩. لم يذكر التَّحَرُّش.. أعندكم أنتم شيء؟

قالت: فِي كتاب الْمُلاطفَة والْمُداعبَة.. وليْس فِي قانون الْمَغْرب !!

(مايكل دوجلاس يعرض عَلَيْهَا مشاكل الْعمل، فتطلب منَة أن يحل مشكلتها معه؟! يحدثها عن الأسواق الْجديدَة، فتقول له: الْمُهِمّ اللِّقَاءَات الْقَادِمَة! يُقدِّم التَّقْرير الشَّهْري فتطْلُب منه تَقْريرًا عن تَفاصِيل وَسَامته شِبرا .. شِبرا، سَاقًا، وَوَجهًا، وَظَهرًا! حتَّى مِشيَته تقول عنها أنها تَرِنُّ بقلبها– إنَّها تُرَدِّد أُغنيَة أُمِّ كُلْثوم "وَاثِقُ الْخُطْوَةِ يَمْشِي مَلَكًا" بألفاظ جديدَة! يُقَدِّم اسْتِقَالتَه فَلا تَقْبَلُ مِنْه إلا الْوُرُودَ والْقُبلات!)

ضحكنا.. ما نراه على الشَّاشَة لا هو اغتصاب، ولا هتك عرض ولا حتى خدش حياء؟!انة مسمى سيىء التحرش!!

همست: إنها امرأَة تبحث عن موافقَة رجل٠٠ عشق امرأَة، لا تنس أنها مديرَة الْمكان، هكذا يفعل نساء بُرْج الْحَمَل!!

قلت: ولكن بوحشيَّة الْحضارَة الْغربيَّة ؟!

استوقفتني.. كأفوكاتو .."مُحاميَّة" شاطرَة : أتعاقبون على خدش حياء رجل ؟!

– لا.. للأسف؟! م٣٠٦ مكررا من الْقانون الْمِصْري تعاقب الرجل على خدش حياء الأنثى.. وتحبسه شهرا، خدش حياء رجل تعبير قانوني جديد.

– أَلِهذا لا تمسك يدي ؟!

– : أَلا تتَّهِميني بالتَّحَرُّش ؟!

– نساء برج السَّرطَان يؤمِنَّ بحاسَّة اللَّمس!

ضوء أزرق وديع يخرج من نمانم النُّحاس الْموضوعَة بالْمَكَان بتلقائيَّة تُلْقي هُنَا .. وهُنَاكَ .. أنوارًا خَفيفَة مُرْتجفَة وظِلالا شفَّافَة، هُنَاكَ امتِدَاد تلقائيٌّ لِنَظَري ينتهي عند بِركَة مُتَّسعَة تتوسَّط الْمَكَان ذكَّرتْني بيوم غازلتُها بأنَّ عيْنَيْها بلَوْن بُحُور الْجنَة استفسرت ؟!.. كانت عيناها عسليَّة وبالجنَّة بُحَورٌ من عسل، قَهْقَهت وأشارت إِلَى شفتها السفلى.. هل أجد فيها علامَة خروج آدم من الْجَنَّة؟! لم أفهم ؟! فشرَحتْ لي أَنَّهم فِي الْمغرب يعتبرون (الأشرم) من النِّساء، ذات الشفَة الْمشقوقَة امرأَة ساخِنَة لا تهدأ رغبتها ؟! وأنَّها قامت بعمليَّة تجميل اتِّقَاء للشُّبُهات!! ولكنها تركت ندبَة بشفتها السفلى.وجدتُ نفْسِي أُقَبِّلُها . ركَّزْت على الشَّفَة السُّفلي عند مكان النّدبَة أرغب أن تتحقق فتنَة الأسطورَة !..

كنت أدور فِي فلكها مجذوبًا بقوَّة هائلَة، كأنَّها الشَّمْسُ وكأنني الأرض.اعتدلت فِي خجل، وأنا أبتسم. قلت : كنت فِي الْجنَّة أنا مثل أبي الأوَّل آدم .. إنها جينات الْغوايَة!! ابْتَسمتْ وهي تُغَمْغِم بالفرنسيَّة..: أنا لست بقايا الْجنَّة، أنا بقايا الْحريم، كانت بوَّابَة بيتنا تفصل حريم النِّساء عن غرباء الشارع، وكان شرف أبي ارتبط بهذا الْفصل كان بوسع الأولاد عبور الْبوَّابَة بصعوبَة أما النِّساء الْبالغات فلا؟! حَلِمَ جميع النِّساء أن يَهِمْنَ على وجوههن بحرِّيَّة فِي الشَّوارع، وكانت حكايَة "الْمرأَة الْمجنحَة" الَّتِي تستطيع أن تطير من الْفناء متى شاءت كلما رُوِيَت فِي الْمغرب .. كانت النِّساء يُعلِّقْن أطراف قفاطينهن بزَنَانِيرِهن ويأخذن فِي الرَّقْص.. وقد مددن بين أذرعهن وكأنهن ينوين أن يطرن ! وقد بذرت ابنَة عمِّي"نوَّارَة" الَّتِي بلغت السَّابعَة عشرَة الاضطراب فِي ذهني عندما أَفْلَحَتْ فِي إيهامي أنَّ للنِّساء أجنحَةً غير منظورَة، وأنَّ أَجْنحتي ستطلع عندما أكبر!!

هَذَا ما استطعت عليَه صبرًا من فرنسيَّتِها الْجميلَة.. أما باقي ما قالتْهُ كان غريبا وأخذتُه إجمالا ؟! وكان يدور حول عدم اعتقادها بأن تكون الْجنَّة مخلوقَة الآن!

قالت بل الله يُنشِئها يوم الْقيامَة، خَلْقُ الْجَنَّة قبْلَ الْجَزَاء عَبَثٌ غير واقِع على وجه الْحكمَة؟!

* جاء النَّادِل فجأَة وبدون طلبي ارتبكتُ، حسِبتُه من غِلمان الْوَالي فَمَلابِسُه الْمُزَرْكَشَة بين التُّركي والإيراني– لزوم إيحاء الْمَكَان – توحي بحكايات أَلْف ليلَة .. اعتقدت معها بأنه سيبدأ بـ "أيها الزبون السَّعيد ذو الْمَقام الْعَالي والذَّوْق الرَّشيد" حركاته مهلَة، ابتسامته لدنَة، انحناءته أنثويَة، كلمني فِي نعومَة، فطلبت الْعَشاء والنَّبيذ بسرعَة دون أن أنظر إِلَى الْقائمَة الَّتِي معه ! قد يَكُون ذَلِكَ بسبب اللُّغَة، قل بدون تفصيل وبدقَة حتَّى لا يجادلك أحد، أنت تتحدَّث الْفرنسيَّة، ولكن لا تعرف كيف تسمعها جيِّدًا – هذه نصائح أهلي والأصدقاء فِي الْقاهرَة .أَسْمع رقرقَة الْمِياه الَّتِي كانت بفعل موتور صغير بالحوض..حوض السمك الْملَوَّن حيث أجلس..سجائري (مينتول) بلونها الأخضر بمكانها على الْمِنْضَدَة بجِوَار شَنْطَتِي الصَّغِيرَة، الَّتِي بِهَا أوراقي والْبسبور. أشعلت واحدَة.. قلل فخاريَة تخرج منها إضاءَة خافتَة تتلَوَّن بلَوْن جوف الْفُخَّار...اتَّجَهْت إِلَى الـ (w.c) فِي نِهايَة الْمَمَرِّ.

فيما بعد تبين لي أن ما توصلت لـه بعفويَة الْمنطق هو رأي الْمعتزلَة والْمُرجئَة "من الْفِرق الإِسْلامِيَّة" .كما تبين لي أشياء أخرى؟!فقد قال أبو الْقاسم الرَّاغب في تفسيره: واختُلِف في الْجنَّة الَّتِي أُسْكِنَها آدم فقال بعض الْمتكلمين: كان بستانًا جعله الله تعالى له امتحانًا ولم تكن جنَّة الْمأوى لهما، وجعلها دار ابتلاء وليست هِيَ جنَة الخلد الَّتِي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا على قولين: (أحدهما) أنها فِي السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الْحسن. (الثاني) أنها فِي الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشَّجرَة الَّتِي نُهِيَا عنها دون غيرها من الثِّمار. كما قال أبو الْقاسم الْبلخي وأبو مسلم الأصبهاني: هذه الْجنَّة في الأرض وحملوا الإهباط على الانتقال من بقعَة إِلَى أخرى كما في قوله (اهبطوا مصرًا) واحتجَّا عليه برأي (آخر) وهو قول الْجبائي: إن تلك الْجنَّة كانت في السماء السابعَة! (والقول الأخير) وهو قول الْجمهور: إن هذه الْجنَّة هِيَ دار الثواب والخلود بعد الْحساب يوم الْقيامَة.

– حادي الأرواح إِلَى بلاد الأفراح – محمد بن أبي بكر الزرعي – باب بيان وجود الْجنَّة – ص١١ وما بعدها – مكتبَة الْمتنبي– القاهرة – ١٩٥٥".

فِي منتصف الْممر الضَّيِّق قابلت الْمرأَة الْفَرَنْسِيَّة الَّتِي كانت تقرأ كتاب: كولن ويلسون نظرت إلي فِي وُدٍّ كأَنَّهَا تَعْرِفني! أكانت تتلصَّص أَيضًا؟ أم شَعَرَتْ ببحلقَتِي على رجلَيْها الْمُمتَدَّتيْن فوق الْمِنضدَة، مُتجاهلَة أنها ترتدي "تيور" بجيب قصير!! أهي علاقَة تلصُّص خفيَّة . أم أن أوتار الْوجود تجود بالنَّغَم الْمكنون، واللَّذَّة تسطع حتَّى تُعانِقَ الْجميع ؟!.. كانت تريد أن تُخْرِجَ شيئًا من حقيبتها وفي نفس الْوقت تضع كتابها.. ارتبكت، كادت شنطتها تفرغ ما فيها على فسيفساء الأرض، تدخَّلتُ فتَمَّ تدارُك الأمْرِ.قالتْ : **Merci**. أخرجت فوط الْحفَّاضات النِّسائيَّة؟!

حاولت أن أقويَ اللغَةَ الْفَرَنْسِيَّة ببعض الْغزل معها، ضحكتْ، علقت ببلاهَة بقصد جذب أطراف الْحديث، وانتباهها أيضا – بالطريقَة إياها– لدى الْمصريين ؟! ما السِّرّ في الْحفَّاضات، ألا يُوجَد ورق تواليت بالحَمَّام، إنِّي قد أحتاج لواحدَة إذا كان الأمر كذلك ؟

قالت:**'femme la pour chose quelque'** حاجَة حريمي كده ؟!

–أيحدث فِي فرنسا نفس الشّيْء للنساء؟! كنت أعتقد أنَّ الْفرنسيات من الْحُورِيَّات!

– ومن هن؟

– النِّساء الْمَوْهوبات من الرَّب فِي الْجنَّة للرِّجال الطَّيِّبين، يُعْطى الرَّجلُ الصالح "حوريَّتَان". اعتقدتُ أنَّ هُنَاكَ ما جعل بعضهن ينزل فرنسا حين رأيتك؟!

– ارْحَمْني أنا أنزف.

– الْحُورِيَّات لا يستخدمن الْحفاضات النِّسَائِيَّة – فهنَّ لا يحضن– فهل حوريات فرنسا ضد النَّص؟!

– أيها الشّبق اللحوح .. إني أنزِف.

تركتْ شنطتها بين أحضاني؟! دخلَتِ الْحمَّامَ مُسرِعَةً بِفُوَط الْحَفَّاضَات النِّسَائِيَّة.. دخلتُ الْحَمَّام الْمجاور الخاص بالرِّجال – فحَتَّى فرنسا تفَضِّل الْفصل فِي هَذَا الشّأن !! ارتبكت قليلا فعلى كتفي شنطَة حريمي حمراء مكتوب عليها بالفَرنْسِيَّة:

لماذا لا تفعل ما أراه فِي عينيك..؟ **yeux votre dans est quelle**

pas faites ne tu porquoi .. اَيَدْخُلُ رَجل حمَّام الرَّجال بهذا الْعرض!

كان عُنوان الْمُحاضرَة: (أهميَّة نصوص الرَّأفَة وإيقاف التَّنفيذ فِي التّشريع الْعِقَابِي).. تحدثت باختصار عن نص م١٧ في مصر وكذا م٥٥ فِي إيقاف التَّنْفيذ . كانت تتدخل وتسعفني فتشرح ما أقوله إذا تطلب الأمر الإطالَة .. كانت لساني فِي غربتي ففرنسيتي عرجاء عَلَّق الْمُحاضر (جارودي مارسل): ليس الأمر متروك للقاضي فالْمحامي يجب أن يحثه فِي مرافعته ويتمسك بذلك فِي مُذَكِّرَة طَلَبَاتِه فالسُّلطَة التّقديريَة * للقاضي هُنَا سُلطَة وَقائِع لا سُلْطَة مُطلَقَة. ولِذا فالعمل بالعدالَة يقتضي معرفَة علم الاجتماع وعلم النَّفس، وليس الْقانون وحده. فالأوراق الْجنائيَّة عندنا بِهَا خانَة لدراسَة الْحالَة تتحدث عن ظروف الْجاني ** بيئته، معتقداته فهِيَ تَهْتمُّ به قبل وقوع الْجريمَة، فنحن لا نشعر بغليان الْماء إلا فِي درجَة ١٠٠ فِي حين أن الْغليان قادم مُنْذُ درجَة ٩٨ ولو لأتفه الأسباب.؟؟

هل قرأ أحد روايَة (الغريب) لكامي ؟ إنّ الْقتل يأتي من مجرد انعكاس ضوء الشّمْس بقوَّة على عيني بطل الرِّوَايَة، إنه فِي حالَة غليان لا يعرفها النَّص، لأن النَّص الْقَانُونِي يتحدث عند وقوع الْفعل لا قبله ولا بعده، بغير ذَلِكَ تُصبح أعمال

---

* يجوز فِي مواد الْجنايات إذا اقتضت أحوال الْجريمَة الْمقامَة من أجلها الدعوى الْعموميَة رأفَة الْقضاة تبديل الْعقوبَة على الْوجه الآتِي : عقوبَة الإعدام بعقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤبدة أو الْمؤقتَة ، عقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤبدة بعقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤقتَة أو السجن ، عقوبَة الأشغال الشّاقَة الْمؤقتَة بعقوبَة السجن أو الْحبس الذي لا يجوز أن ينقص عن ستَة شهور ، عقوبَة السجن بعقوبَة الْحبس الّتِي لا يجوز أن تنقص عن ثلاثَة شهور.

يجوز للمحكمَة عند الْحكم فِي جنايَة أو جنحَة بالغرامَة أو بالحبس مدَة لا تزيد على سنَة أن تأمر فِي نفس الْحكم بإيقاف تنفيذ الْعقوبَة إذا رأت من أخلاق الْمحكوم عليه أو ماضيه أو سنه أو الظروف الّتِي ارتكب فِيها الْجريمَة ما يبعث على الاعتقاد بأنه لن يعود إِلَى مخالفَة الْقانون ويجب أن تبين فِي الْحكم أسباب إيقاف التَّنفيذ ، ويجوز أن يجعل الإيقاف شاملًا لأيَة عقوبَة تبعيَة ولجميع الآثار الْجنائيَّة الْمترتبَة على الْحكم.

الرَّأفَة ووقف التّنفيذ والاختيار بين الْحَدِّ الأقصى والأدنى للعقوبَة درب من التّخمين ؟! أثناء ذَلِكَ تركت الدَّرْس، قالت لِي وهِيَ تنصرف

– 'femme la pour chose quelque' حاجَة حريمي كده!

قالتها بنفس طريقَة الْفَرَنْسِيَّة. فعدت لها. الإسقاطات تأخذني لِدُنْياها؟! كانت شُعلَة من سعادَة تحظى بحريَّة، وتذعن لسنن فوق مَدَاركي، فأنا رماد من وجوم، وهِيَ نغم سحري يستقر فِي الأعماق يُغرِّد دوما بسهولَة الْحياَة .. تنبَّهْت أثناء الْعَشَاء إِلَى أَنَّ نصف زجاجَة النَّبيذِ على وشك الانتهاء فاسْتعمَلْتُ الْجرس الصَّغِير الْموجود بجوار طفايَة التّبغ لنداء النَّادل، تحرَّكت الكورَة الْمعدنيَّة بداخله .. حركَة بندوليَّة اصطدمت بالحوافِّ فصَدَرَ صوتٌ أحضر النَّادلَ، وألهب الذكريات .." علَّمَتْني كيف أُحب النَّبيذَ وكيف أشربه ؟ ومتى يَكُون أحمر.. ومتى يَكُون أبيض؟ احترمت أني لا أشرب الخمور– ووجدت هوايا فِي فتوى لأبي حنيفَة بعدم تحريم النَّبيذ؟! "

وجدتُ الْفَرَنْسِيَّة عند رأسي .. جذبتني .

قالت: أنت .. يا أنت .... انتبهتُ.

: هل بالتيير بُقَع ظاهرَة فِي الخلف ؟

الْتَفَتُّ أنظر.. وكانت مستمرَة فِي الكلام بعصبيَّة.. وهِيَ تُدير لِي نفسها فأراها من الخلف، عجيزَتُها كورَة تنضح بنضج وأنوثَة يا لها من عجيزَة فرنسيَة جمعت بين الْعجرفَة واللُّطف، يكاد الْغريب مثلي أن يحس بطَرَاوتِها وشِدَّتها معا بالنَّظر الْمُجَرَّد.عذرتُ فِي هَذَا الْوقت اللُّوطيِّين، فهل هُم مَن يَأْتُون الرِّجَال دون النِّساء – أم هم من يأتون النِّساء مِن هَذَا الْمَوْضِع؟! أطَلتُ النَّظرَ وقد بدا أنَّ الأمر جَدِير بالْبحث فِي فرنسا.. أليست أرض النُّور، والحرِّيَّات !!

إستدارت معتدلَة .. كانت حانِقَة ومُتَبرِّمة.

قالت – عَطَّلْتني ... حاولت مُعالجَة الأمر بالْماء فتعقَّد الأمر أكثر، أبك شَبَق ؟! عندي موعد مُهِم مَعَ "برجريت بارد" بعد دقائق..!

قلت – برجريت باردو (ب.ب) الْمُمثِّلَة الشّهِيرَة ؟!!

قالت– برجريت باردو أستاذ علم الاجتماع الْجنائي ..إنها تشرف على بحث لِي .

– إنِّي أعرفها، ودرَّست لِي فِي جامعَة (ليون)، إنها فِي الخمسين من الْعمر، بدينَة، جادَّة، درسها تقليدي بالسبورَة والطباشير، تَرُصُّ الْمعلومات بتدفُّق وبدقَّة .

– هي بشحمها ولحمها ..عليك تعطيلُها حتَّى أحضر . فلا بد أن أُغيِّر ملابسي، عَوِّضْ شَبَقَك بذوقك !!نزعت شنطتها من الْمنضدَة، وانصرفَتْ حانقَة، بقامَتِها الهَيفاء وأناقتها الْباريسيَّة، كانت فِي عينيها نظرَة تلقي إلي الظمأ، والتأفف معا شعرت بخجل.

استعملتُ الْجرس الصَّغِير الْموجود بجوار طفَّايَة التَّبغ لنداء النَّادِل تَحَرَّكَت الْكورة الْمعدنيَة بداخله حركَة بندوليَّة اصطدمت بالحوافِّ فصَدَرَ صوتًا.. ولكن لم يحضر النَّادل!!

حيث اقعد، توجد حجرية كبيرة عليها حكاية أسطورة " الكأس المقدسة " أنها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح التي تساقطت من جسده على الصليب. دونت الأسطورة في شكل قصيدة غير كاملة عن طريق الكاتب الفرنسي **Chrétien de Troyes**) الذي ادعى أنه أخذها من كتاب حقيقي أعطاه له رئيسه الكونت **Philip of Flanders**

أشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ ؟!

كويتية محمرة الوجه وكانها خارجة من حمام مغربي مع فتلة الوجه ارتدت بنطالاً فضفاضاً فيه الكثير من الجيوب مع سترة ضخمة تخفي معالم الأنوثة منها،بوصولها لطاولة بجوارى يهللن لها الشابات الجالسات عليها،فى بشاشة وحبور ويبدوعليهن لهفة انتظارشيئا ما؟!

فتعاجلهن قبل جلوسها فى ابتسامة،بقولها: شريط الزفة ما زال عالقاً،هاانا ذي احطم الرقم القياسي ببلوغى الليلة الرابعة بعد زواجى دون أن يمسسنى العريس؟

: "بالأمس ارتديت قميص نومى السكري الذي ارتديته مراراً قبل الزواج في أيام الملكة أمام المرآة في غرفتى، مثيرة به إعجاب والدتى التي تذكر الله خشية الحسد. خرجت من الحمام لاجده نائماً ومع أنى أكاد أجزم بأنه تظاهر بالنوم بعد أن التقت عينانا للحظة خاطفة! إلا أنى صرفت وساوس إبليس"

يضحكن فى دلال ويقلن:لم يمسه بعد جن فرنسا؟! غيرى لقميص نوم بلون فاقع.؟!. ونصحنها أن تبدأ بالأزرق!

هل تأتى معشوقتى الحلوة ؟! ولكن متى تأتي الصُّدف بما يشتهي الْعناق!

كانت هُنَاكَ عجوز مكرمشَة الْوجه عند مدخل الْمَكَان .. عند الْقُلل الْفُخَّاريَّة الَّتِي تخرج منها إضاءَة خافتَة تتلَوَّن بلَوْن جوف الْفخار فترى كلَّ ألوان قوس قزح .. كانت "باردو" واقفَة شدَّت شعْرَها للخلف، مُتأنِّقَة، ولكن فِي حشمَة، تضع إيشارب مزركش حول رقبتها يبدو موضة. ولكن أدركت أنها خدعَة لمداراَة تجاعيد السِّنين حول رقبتها.. استقبلتُها بترحيب الْمصريِّين، أفهمتها بأن تلميذتها على وصول، وأني تلميذها فِي جامعَة ليون من طلبَة الْمنح الْفَرَنْسِيَّة الْمجَّانيَّة، ويُسعدني أن تكون على منضدتي لحين حضور تلميذتها الْفَرَنْسِيَّة، استغربت من استعمالي كلمَة تلميذَة على امرأَة ناضجَة فِي الثَّلاثِين؟! سأَلَتْ أسئلَة تقريريَّة عن علاقتي بها؟ وعني؟ وضَحِكَت على إجاباتي السَّاذجَة عندما شرحتُ باختصار ظروف معرفتي بِهَا، كانت مندهشَة من أني لا أعرف حتَّى اسمها؟! ولكنها

استسلمت للمقادير، ولأسئلتي الْمبطنَة لحالَة هزَّة الْقلب، والإسقاطات الْمُروِّعَة داخلي وكَأنَّها تعلم مغزى وخطورَة ذَلِكَ على الْوجود! هِيَ لها خبرَة بكيف يتصرف طلبَة الْمنح الْمَجَّانيَّة فِي فرنسا عند بدايَة الأمر. سألتها: (التَّحَرُّش الْجِنْسِي)؟

قالت: وفى عيونها ارتداد الثِّقَة بدلا من الْحيرَة.. التّحَرُّش موجود فِي مدرسَة الْقانون السكسوني وخَاصَّة أمريكا، ولكن فِي فرنسا النَّصوص كافيَة.

تلعثَمَتْ فرنسيتي. وهِيَ تنتظر مناقشَة مطولَة .

قلت: **pbeaucou onnaitrec veux je**، باختصار لنعرف الْمزيد...

قالت– التّحَرُّش يمكن نقله من الْقانون الْجِنَائِي إِلَى الْقَوَانِين ذات الطَّابع الإداري.. ولذا قررت وزيرَة الْمرأَة فِي أَلْمانيا جَعْل هَذَا الْقانون (ضمن قوانين الْعمل والوظيفَة) وبالتَّالِي فالعقوبَة فيه تأديبيَة، لا جِنَائِيَّة. وبالطَّبْع هَذَا عكس الْوضْع فِي أَمْرِيكَا.. ولكنه التّدبير الْمقدم للأمر فِي فرنسا.. فالأمر لم يُحْسَم عندنا؟! لكن في أَلْمانيا، الْقانون موجود باسم الْوزيرَة (إنجلا مركل) وهو ينص على التّحَرُّش الْجِنْسِي بمكان الْعمل وهو: كلُّ تصرف جِنْسِي مُتَعَمَّد من شأنه أن يجرح مشاعر الْعاملات فِي مكان الْعمل. (لاحِظْ أنه لم ينص على جرح مشاعر الْعامِلين – الذُّكُور– فهو تمييز) إذا ما ترتب عليه رفض أو تأفُّف أو خجل النِّساء بالْمُؤَسَّسَة.. مثل: الأقوال الْجِنْسِيَّة، الْمطالبَة بالقيام بتصرفات جنسيَة، الْجنس الخفيف متمثلا فِي اللَّمَسات الْجَسديَّة، الْملاحظات الْمحتويَة على معان جِنْسِيَّة : كعرْض أو إحضار صور عاريَة بالْمكتب أو مكان الْعمل، أو استخدام التّليفون الخاص بالعمل فِي علاقات شديدَة الخُصُوصِيَّة (جِنْسِيَّة) .كانت تقول بمُنْتَهى الاتزان ودون أن ترِفَّ عينيها– رغم اهتزاز نهداها الشّامخين كمركز ملاحَة مستتر، كان له شأن فِي الْمَاضي فِي إرْشَاد سُفُن الذُّكُورَة الضَّالَّة فِي الْبَرِّ– أو تلاحظ وقع هَذَا الشّرح على أعصابي.

– وكَيْف يعلم الْقانون كيف ترفض الْمرأَة ؟

أجابتْ :– الرَّفض فِي هَذَا الْقانون لا بد أنْ تُعَبِّر عنه الْمرأَة بشكل مادي، مثل: أن تتقدم بشكوى مكتوبَة، أو شفهيَّة لصاحب الْعمل، ويجب أن تكون محدَّدَة، أي أن تحدد الْفِعْل، ولا تكون شكواها عامَّة، وبعد ذَلِكَ يبقى على صاحب الْعمل أن يمنع هَذَا التّحَرُّش بصورَة عاجِلَة خلال طرق يختار منها وهِيَ : النَّقل – لفت النَّظر الإنذار – التّحويل إِلَى إدارَة أخرى ..طرق الْعقاب الإداري وليس لرئيس الْعمل الْحقُّ فِي غَضِّ الْبصر، أو عقد الصُّلح أو الْحِفْظ وإنما هذه الخيارات إجباريَّة.

- وماذا إذا رضيت الْمرأَة فِي أوَّل الأمر، ثم حدث ما يُعَكِّر الصَّفْو؟! أتصبح الْعقوبَة مُسلَّطَة على الرَّجل؟
- هذه الشّكوى تسقط إذا مر أكثر من ثلاثَة شهور على حدوثها حتَّى يستقيم الْعمل، ونبعد عن الْكيديَّة فِي الشَّكوى فهِيَ وإن كانت جريمَة إداريَّة فإنها تخضع للتقادم.

حضرت الْفَرَنْسِيَّة.. مَلْهُوجَة.. سلَّمَتْ على باردو دون أن تَشْكُرَني أو تُعيرَني اهتمامًا !! دَخَلتْ فِي الْحديث وهِيَ واقفَة تُسَوِّي شَعْرَها بأناملها وقد لاح إِبطُهَا من فُرجَة الْقِطْعَة الْعُليا للتيير– نصف الْكم– تماما كالجيب الْميني الْمكمل له، تتحدث عن بحثها.. تنظر لِي وكأَنَّهَا تدرك سكرَة انتابتني، عينيها تقول لِي كفى فضولا؟!..لها حاسَّة حدس تفوق حواسَّها الأساسية!!

الفَرنْسِيَّة: اشتغلتُ على ما قاله "ويلسون" فِي كتابِه. وانتهيْتُ إِلَى وجود علاقَة بين الدَّافِع الْجِنْسِي والْمَلابِس إذ إنها ممكن أن تقوم بدور الْمثير، وأن ذَلِكَ أدى إلى تغيير ملابس الْغانيات على مرِّ العصور.

برجريت: هل قُمْتي بدراسَة مَيْدَانيَّة.. كدراسَة الْملابس الَّتِي كانت تلبسها الْمرأَة عند وقوع جرائم جِنْسِيَّة عَلَيْهَا (هتك الْعرض أو الاغتصاب) ؟!

سجَّلت الْفَرَنْسِيَّة ملحوظَة باردو، فانتهزت الْفرصَة للكلام.

قلت: (روايَة نجيب محفوظ (السَّرَاب) تقول شيئًا قريبًا من هَذَا "فكامل" بطل الرِّوَايَة لا يستطيع أن يمارس الْجنس مَعَ زوجته الْجميلَة ولكنه يمارسه بسهولَة مَعَ امرأَة شَعْبيَّة فالدَّافِع الْجِنْسِي لديه مرتبط بالْملابس الْفقيرَة أو الشّعبيَة .).

برجريت – مسيو محفوظ نوبل .. نوبل ..آه أنت مصري ؟

لكزتني الْفَرَنْسِيَّة بمرفقها

– همست: شبق ..وعشوائي ..حشري أيضًا؟!

برجريت– الأدب مصدر مهم فِي علم الاجتماع الْجِنَائِي وأيضا علم الإجرام.وقد قرأت "السراب" لقد حلل فيها محفوظ عقدة "اوديب" تعلق الولد بأمه ..نظرته لطهارة الأم ،جعلته ينظر نفس النظرة لزوجته المثقفه – ولكن المرأة الاخرى الجريئة الشعبية.التى اغرته بجسدها من البلكون، قام معها بما يقوم به الرجل مع المرأة.

الفَرنْسِيَّة – excusez moi ..أعتقد أنه حان الْوقت لننصرف .

أخذت باردو بشكل طفولي، وكأَنَّهَا تنتزعها من الْكرسي، فقد أمسكت يدها، وأجبرتها على الْقيام، لا أعرف إن كان أخذها نظارَة دكتورتها تم عن عمد أو بعفويَّة؟ فلقد استسلمت لها، ولم تُعَلِّق وواضح أن باردو لم تكن ترى بوضوح!! انتقلا إلى مِنْضدَة أخرى..شعرتُ بمدى شراسَة الْفَرَنْسِيَّة، أهي فَرِسَة من هَذَا النَّوْعِ أم هِيَ أعراض الْعادَة الشّهريَّة؟! لحظَتُها ... انكسرت أشعَّةُ الضوء وشعرت بِهَا وكأَنَّهَا واقفَة بجسدها الْفارع الْممتلئ بلا ترهل، رائحتها فِي عبق الْمكان، أهي حقيقَة أم رغبَة لا تكف عن الْمثول. أشعر بأصابعي بين أصابعها فِي عناق حارٍّ! أذكر يوم قالت: ماذا يريد الرَّجل بعد أن تعطيه الْمرأَة كفَّهَا فِي أمان؟ قلت : ومتى يحدث ذَلِكَ ؟!قالت: حينما يمنحها الرَّجل براءته !أهي ثورَة النَّبيذ الذي طلبته !!

حمى الخيالات الَّتِي لا يَكْبح جِماحَها الْعقل، في مشد صدر أصغر بدرجتين عن مقاسها !! فترجرجا هَذَا التّرجرج الذي يبيح بأنهما لم يخلقا للأمومَة !!

يدي فِي يدها فِي تراخ حذر، قالت فِي كبرياء: – تأخرت عليك ..

ضحكت حينما وجدتني على نفس الْمقعد بجوار حوض السمك الْملَوَّن عند رَقْرقَة الْمياه الَّتِي بفعل موتور صغير بالْحوض، ابتسمت حينما وجدت سجائري (الْمينتول) بلونها الأخضر النّعناعي .. أشعلت واحدَة وهي تُرَدِّد

قالت – متى تُغَيِّر شعالَة النَّار هذه؟! تذكرت يوم قلت لها:شيئا خطيرًا أن يغير الرَّجل نوع تبغه !! قالت: لا مفر.. استسلم؟!

ومن يومها وأنا أدخن سجائر مينتول خضراء .كنت لا أدخن السيجارَة..بل أدخنها بداخلي. فهل هي مُضِرَّة أيضًا بالصدر!!

آه يا هي ... آه يا عربدَة الْعقل.

أخذت نَفَسًا عَمِيقًا من السِّيجارَة الَّتِي توهَّجَت بين أصابعي .. وابتلعتُه. جاء النَّادِل .قدَّم الْفاتورَة معتذرًا بأن ورديَّة عمله انتهت.. أشعلت سيجارَة مينتول.. لبست نظارتي الطِّبِّيَّة، نظرت فِي الْحساب: (نصف زجاجَة نبيذ ، نصف دجاجَة مشويَّة ، كميَة أخرى من النَّبيذ، ١٢%ضريبَة ،١٠% خدمَة)

لمحت الْفَرَنْسِيَّة تغادر الْمَكَان مَعَ أستاذتها الْعجوز الْبدينَة، ذات السبورَة والطباشيرَة. التَقَت الْعيون.. النِّنِّي فِي النِّنِّي، فأخرجت لِي أصبُعُها الأوسط من خلف ظهرها!! كانت هُنَاكَ بقعَة حمراء على التّايير الأصفر من الخلف! دفعت الْحساب بلا تحسُّر على غير الْعادَة ..

الفصل الثانى:

ففي يوم مطير، كان يومي المائه في الْغربَة ووجدت لديها الشّمْس الدافئَة، فِي هَذَا اليوم عبر الْفرنَسيون فِي (الْميديا: الصحافة والتليفزيون) بانزعاج عن ماقام به الشّهيد الفلسطيني (ساهر حمد الله) بقيادته سيارَة مفخخَة اتجهت صوب مستوطنَة "ميحولا" على بعد ١٥ كم من نهر الأردن، فانفجرت بين حافلتين عسكريتين إسرائيليتين، وصف الفرنسون العمل بالإرهاب؟ وكنا نحن الدارسين العرب نحس بنشوة الفرح والبطولة..كنا نحن وهم كما يقول المثل الصينى"سرير واحد وحلمان"وهو مثل يشير لأختلاف البشر فى الأفكار،فلم يحلم رجل وزوجته ابدا على الفراش بحلم واحد!..ففى الوقت الذى غير فيه الفلسطينيون طرق النضال من الطوب للرصاص كنت اغير طريقتى فى العشق للطريقة للفرنسية؟

وبالطبع كلتا الطريقين وجدا معارضة؟!فكما بدل الشافعي فى فقهه عند نزوله لمصر،بدلت إجتهادات العشق بفرنسا،اليس الأنسان أبن بيئته كما يقول علماء الإجتماع !

قابلت الجزائرى"بورحاب".استقبلنى باهلا مسيو، وبدأت حكاياتة. فهو متحدث لبق،ويخلط الفرنسية بالعربية كلما ضاع منة المعنى العربى، يرتعش وهو يتحدث فى حيوية وهو ضخم الجثة نوع يقول عنة عباس العقاد (يرى ماشيا كانة راكبا)ينتقل بى من سرالرئيس"فرانسو ميتران" الذى اكتشف له خليلة عرفها من عشرين عاما وانجب منها طفلة؟.الى اليمنى"حسان التعلبى"الذى جاء معه بالقات ولكنة لايجد وقت "القيلولة " الحار "للتخزين" فاضربت احوالة؟! إلى الصراع على الجزائر بين الشيوخ والجنرالات (ديسمبر١٩٩١ يناير١٩٩٢) وكيف هرب من الموت هناك،دخلنا معا المحاضرة كانت عن الحالات التى تحتاج لقوانين

جديدة؟! كان البرفيسور"ساجان"يطلب منا المشاركة وإستلهام الحلول مستفيدا من تعدد جنسيات الدارسين، وتعدد القوانين قال بمرح :المرأة تقلب علينالمنضدة..منضدة القانون،واحيانا منضدة الفضيلة ...اماكيف؟ فهذا ما سنعرفه وعلينا ان نجد حلا؟ فهى تريد ان تكون أما..باى شكل وباى علاج رضى القانون او سخط اتسعت رحمة الدينأ،اوانفتحت ابواب جهنم.فبعد حريتها الجنسية،إصطدمت بحاجتها البولوجية للأمومة؟! وعرض حالات تحدثت عنها الصحف الفرنسية

#كورين (٢٢سنة):أرملة لضابط فرنسي أحبته ثلاث سنوات وفجأة اكتشف "انه مصاب بالسرطان فى البروستاتا": وكان لابد من استئصالها لقد أصبح عاجزاًعن الإنجاب، ولما كان قبل ذلك يقوم ببعث حيواناته المنوية إلى احد المراكز الطبية بإنتظام ليعرف سبب عدم إنجابه قبل اكتشافه المرض.فبعد موته لجأت أرملته كوين (٢٢ سنة) إلى المحكمة تطلب إسترجاع هذه الحيوانات المنوية وإنها من حقها، ولان المركز الطبي رفض إن يسلمها هذه الحيوانات لان الفقيد لم يوصى بها لأحد؟!ولكن حكمت لها بذلك احد محاكم باريس وحصلت على الحيوانات الخاصة بزوجها وبدأت تفكر فى الإنجاب بالتلقيح الصناعي من هذه الحيوانات؟! ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها محرجة؟ فلاهي تستطيع إن تمنعها من هذه العملية ولا تستطيع ان تخرج على قانونها الذي ينص على :"انه بعد وفاة الأب بثلاثمائة يوم أذا أنجبت زوجته اعتبر الابن غير شرعي " ولازالت هي تحوزالمنى وتهدد به الجميع وترى ان امومتها أهم،وتقول ماذا أفعل تأخرت قضيتى بين المركز الطبى والمحاكم اكثر من ثلثمائة يوم ؟!

أعلن رجل أنة فى حاجه إلى أم تقبل ان تحمل منه عن طريق التلقيح الصناعي ولها مكافأة مالية كبيرة إذا وافقت،ومكافأة أكثر إذا حملت وإذا ولدت

وأعطته هذا الطفل ليسعد به هو وزوجته؟!: كانت لهذا الرجل زوجة قد أجهضت مرتين ثم اتفق الزوجان على ان يكون لهما طفل عن طريق التلقيح الصناعى بواسطة امرأة أخرى– وجاء الرد بموافقة سيدة تعمل فى هيئة طبية لتحديد النسل ومتزوجة! حملت صناعيا وولدت وعندما تقدم الأب البيولوجي للام الوالدة بالنيابة رفضت ان تعطيه الطفل؟ فهي أمه وقالت هذه إلام فى المحكمة عندما فكرت فى الحمل كان دافعي إنسانيا ولكن بعد ان حملت شعرت بلذة الحمل وولدت وشعرت بالآم الوضع وعندما رأيت الطفل أحببته فهو ابني ولن أعطية لاحد والقانون لايعرف إلا أبا واحدا فهو الأب الشرعي وليس الأب البولوجى فالطفل إذن ابن هذه السيدة وزوجها. وقد طلبت المحكمة من الام ان تسمح بإرسال بعض الصور للطفل لوالده البولوجى .والأب الشرعي ليس راضيا تماما عن هذا الطفل،رغم قبوله اموال الأب البيولوجى وإنفاقها؟ والأب البولوجى تعيس تماما لهذه المأساة .ولكن إلام الحامل بالنيابة هي إلام الحقيقية. إما الزوجة الأخرى فلا تزال تفكر فى الأمومة؟! هنا إنشقت الارض ووصل ابو رحاب لمنصة البروفيسر وقال عندى الحل نطبق الشريعة الإسلامية: "الولد للفراش وللعاهر الحجر"!؟وتكهرب الجو،وسمح البروفيسر له أن يقدمه مكتوباً ففرنسا العلمانية لاتسمح بذلك داخل الجامعات؟

وجدتُ الْفَرَنْسِيَّة مرَّة أخرى أمامي .. لا أعرف كيف تظهر لِي ؟!إنها فِي لهوجَة دائمَة .. جاءت لمنضدتي .. قادمة من دروس الدراسات العليا..وجدت السجائر، ، أخذت واحدَة دون استئذان

قالت: منتول، نعناع .. ألا زال موجود هَذَا التّبغ السيئ!! .. أطفأتها .

– مسيو، هل أنت مسلم ؟

– نعم

- العجوز.. الْبدينَة.. ذات السبورَة والطباشيرَة .. تريد أن تضيف إِلَى الْبحث "الْحجاب" من وِجهَة نظرك هل أوجده الْمسلمون لمقاومَة الشَّبَق الذُّكُورِي لديهم – أم هو يمثِّل شيئا عقائديًّا. أَتُسَاعدُنِي فِي ذَلِكَ ؟! يمكن أُسوِّي الأمرَ معك فِي جامعَة ليون– فالإسلام بعيد جدا عن اهتماماتي ، وبخَاصَّة أن "الْحجاب" مختلف الشّكل بينكم – إني أحيانا لا أرى من الْمرأَة غير عينيها؟!
- ما يَرُوقُنِي الْبحث عن تلك الْجذور، عند "عارِيات الْجسد" من يرتَدِينَ التَّايِيرات الْقصيرَة. فببساطة الشيطان هدفه دائما تعرية الانسان وكشف سوءته والتي تجلت ببراعة مع ابيناآادم عندما غواه وافهمه ان الشجرة التي منعه ربه من الاقتراب منها في الجنة التي وهبه اياها شجرة الخلد ولم يكن منع ربه منها سوي اختبار له لاختبار قابليته وقدرته علي الالتزام والصبر ودفع ادم ثمن خطيئته وعصيانه لربه وانصاته لهذا الشيطان المريد هو وامنا حواء بمجرد اقترابه واقراره بالاكل من شجرة الخلد وانكشفت سوءاتهما،ومن هول هذه الصدمة عليهما طفقا يخسفان عليهما من ورق الشجر ليسترا به عوراتهما.وهذا المعنى فى الديانات الثلاثة. ونزلا آدم وحواء الي الحياة الدنيا بعد ان كانا في الجنة وتلك الجنة لم تكن جنة النعيم التي وعد الله بها عباده الصالحين في الحياة الاخرة؟! وانما هي جنة خلقت لهما وتختلف عن جنة النعيم؟ وهكذا بدات اللعبة بين بني ادم وبين الشيطان الرجيم الذي تجلت اهدافه في كشف عورة بني ادم وتعريتهم فالنفس البشرية النقية تكره العري

بالجسد في شتي صوره والشيطان قدوصل الي نقطةالضعف؟! فالعاريات هن من وقعن فى الغواية وليس المحجبات أو المنقبات

- اعتقدتُ أن الأمر يَرُوقُكَ أيُّها الشَّبِقُ!
- مجنونَة .. أن تبحثي في "الْحِجَاب أو النِّقَاب" داخل دراسَة أكاديميَة عن الدَّافِع فِي الْجَرَائم الْجِنْسِيَّة

أخذتْ سِيجارَة أخرى.. دون استئْذَان أيضًا .. أشعَلَتْها قالت: منتول، نعناع .. ألا زال موجودًا هَذَا التَّبْغ السيئ!! انْصرفَتْ وهِيَ تدخنها فِي نَهَمٍ ! ..

اشتقت"زبيدَة" لأحاورها.بحثْتُ بِعَيْنَيَّ عن ركن بعينه يذكرنى بها هذه الْمرأَة الْمنفلتَة من النَّص، كانت من هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ "كازينو الساحر"بالمغرب هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن سبع مرات فِي موجات سبع طلبا للزواج، أو رغبَة فِي الإنجاب السريع.؟! جأت من هُنَاكَ حيث الْحياَة بلون الْبحر!! منذ حضوري لجامعَة ليون احتوتني وكأَنَّهَا فِي الانتظار،صاحبتى غير ذلك تلهو فى باريس بعيداً عن أزقة المغرب الضيقة وعيون حاراتها الواسعة المتلصصة؟! ما كنت أمشي معها في الشارع العام،وهى بجانبي من دون أن تضع يدها حول وسطى..اصرخ مبتعداً عنها: مجنونة،نحن في الشارع العمومى..الاترين الناس؟!..تلتصق بى وتقول: إنهم لا يرون شيئا.لا أحد ينظر إلينا، تلفت نظر الناس،عندما تبتعد عنى!..وأنا أشهق رغما عني، والتصق بها، نبحث عن باب أول عمارة أمنة تصادفنا،اجذبها فيها الىُ؟! بداية كنت مضطرب، وبمرورالوقت تعودت وصارت تمشي إلى جانبى

وعيناها تبحثان معى عن أي مكان يمكنني فيه أن اقبلها وأتحسسها..كانت وحيدَة "مقاطعة" من الدارسين الْعرب، لأنها لا تضع حاجزا بينها وبين الدارسين اليهود، دخلت إليها حنينها كساني جنونا. .

جأت فى الموعد عقب محاضراتها، حينما نظرت إليها.. كانت لا تزال فِي ظرتها جرأَة الْمرأَة الَّتِي تعلم الصبي كيف يعرف ذكورته فيرفع جلبابه [*] فقررت الا اعاتبها على مصاحبتها اليهود كعادتى ولكنها جأت مقررة أن تسكت حتى عتاب نظراتى فسرت لي موقفها الْمختلف؟! بعبارَة: كلنا دارسين لا فرق بين جنس أو عقيدَة أو جِنْسِيَّة – لسنا محاربين. ثم أوضحت التّفسير"الفرانكفونى" : (لليهود فِي فاس حيهم الخاص وللوصول من بيتنا إليهم لا بد من نصف ساعَة بالتّمام واليهود يشبهون سائر النَّاس فِي ثيابهم الطويلَة الشّبيهَة بجلابياتنا وهم يضعون قبعات بدلا من الْعمائم وهذا كل شيء وهم منصرفون إِلَى أعمالهم ويلزمون حيهم ومنظمون جدا وإحساسهم بالطائفَة أكثر نموا من إحساسنا، يصنعون حليا بديعَة!! وتصنع النِّساء محفوظات من الخضار بالخل وقد حاولت أمي أن تفعل مثل ذَلِكَ بالْكوسا والخيار والْباذنجان الصَّغِير لكنها لم تنجح قط !! أتعرف كيف وصلوا إلينا فِي

---

[*] فِي أسوان ينتشر بين النِّساء اعتقاد راسخ بأن تمثال (مَن) إله التّناسل عند الْفراعنَة. والْموجود فِي جزيرَة (الفانتين) ينطوي على قدرَة خارقَة تتجلى فِي إخصابه للنساء الْعاقرات وهُنَاكَ طقوسا خَاصَّة تتبعها كل امرأَة قبل الزيارَة، حيث تقوم سيدَة أخرى بتشريط كعب قدمها بالْموس حتَّى تنزل منه الدماء وتقوم بوضع (مستكة ومحلب وجادي وشبة) فِي مبخرَة وتخطو عليها السيدَة سبعَة مرات ثم تنطلق إِلَى الْجزيرَة، فتركب الْمركب وتعبر به النَّهر شريطَة أن لا تتحدث مَعَ أحد على الإطلاق أثناء الذهاب والعودَة حتَّى تعود إِلَى منزلها وتلتقي بزوجها؟! وفى طريق الْعودَة يقولون: تكون فِي نظرتها جرأَة الْمرأَة الَّتِي تعلم الصبي كيف يعرف ذكورته..فلقد أعطاها الإله الخصوبة وما الرَّجل إلا فرصَة لعمل أعجوبَة الْقدر؟!

مراكش. . ومتى؟ كان ذَلِكَ أثناء احتلال أسبانيا، حول الأمويون الأندلس إلى جنَة وارفَة الظلال وبنوا قرطبَة وأشبيلية. ولحق اليهود بهم. لماذا وكيف؟ ! قد يَكُون السبب الرَّئيسي أن الأمويين الْمسلمين عصبَة من محبي الْفرح، الخلي الْبال، والذين تلهوا ببناء قصر خرافي "الْحمراء" قضى الْعرب فِي الأندلس سبعمائَة علم وهم يلهون بتلاوَة الشّعر وملاحظَة النَّجوم فِي حدائقهم وكانوا متسامحين إلى حد أنّه لم يكن يعرف ما ديانَة الْجار وكان النَّاس يُغَيِّرون عقائدهم كما يغيِّرون قُفْطَاناتهم . ويوما استفاق الأطلس الْعربي لنراهم يغدون علينا بالْمئات الْعرب واليهود وهم يصرخون من الخوف ومفتاح بيتهم الأندلسي بيدهم؟! كانت تطاردهم ملكَة مسيحية متوحشَة خارجَة رأسا من الثلج اسمها "إيزابيل" لقد ركلتهم ركلَة حقيقية وقالت لهم: إما أن تصلوا مثلنا وإما أن نرميكم فِي الْبحر. ؟ ! لكنها فِي الْواقع لم تترك لهم وقتا ليجيبوا! وألقى جنودها جميع النَّاس فِي الْبحر الْمتوسط وسبح الْعرب واليهود حتَّى طنجَة (إلا الذين أتاح لهم الْحظ أن يعثروا على سفينَة) وأسرعوا إِلَى فاس ليختفوا فيها (كل ذَلِكَ قبل أكثر من خمس مائَة عام) إيزابيل الْكاثوليكية طردت الْمسلمين مَعَ اليهود لأنهم لا يصلون بالطريقَة الَّتِي تصلي بها؟!) .. قالت– أتريدني أن أفعل ما فعلتْه "إيزابيل" ؟

أَكان ما بيننا زلَّة قدم. .أم زلَّة قدر؟ ما أوجع الشّهوَة الَّتِي يواجهها أكثر من مستحيل، وأكثر من مبدأ، وأكثر من خلاف فلا يزيدها ذَلِكَ فِي النَّهاية، إلا الاشتهاء! فكيف احترمت خلافنا؟ عقلين متوازيين فكيف حدث التّماس بين الْقلوب؟ أكان ما بيننا زلَّة قدم. . أم زلَّة قدر؟

جاء الجزائرى"بورحاب"وبدأت حكاياتة..اقول:أتريد قهوَة فيغرد بصوت اجش:" يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة.؟!

تقول زبيدة : إلا القهوة أنها مشروب المنازل ،الصينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. فإذا رفعت الْفنجان ترشف الْبن .المر تتناول معها التّمر.وإذا احتجت الْماء. رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف للماء الْورد ...

يرد الجزائرى:آهى قهوة أم هوى؟ إنهم بالمغرب يشربون قهوة اسمهان!!

جاءت المشاكل كالعادة مع بورحاب،التف حولنا جمع من الفرنسين والدارسين العرب..يستفسرون منه عن معنى: الولد للفراش وللعاهر الحجر.وهو يشرح – تارة بالفرنسية وآخرى بالعربية – قال :فالفراش هو الزوجية الصحيحة بين الرجل والمرأة..فإذا حملت ينسب حملها لزوجها،والأصل حمل الناس على الصلاح والاستقامة،فإن كان العكس – فللعاهر وهو من زنا – بها الحجر أى العقوبة المقررة بالشرع سواء الجلد أو الرجم،ويبقى نسب الولد لأبيه من العقد الصحيح.

ليتلقى السخرية من الفرنسين فى أن يكون ذلك حلاً لفرنسا؟! ويرتفع الصوت مع هرج ومرج ويقول لهم بورحاب

:العرب فى الجاهلية والإسلام لايعرفون الأبناء الغير شرعيين كما تعرفوهم ولكنكم تقننون الدعارة،ولا تستجيبون للاتحاد الأوروبي إلى "اتخاذ التدابير الضرورية لعدم تشجيع الظاهرة وتقليص الطلب عليها الذي يكرس جميع أشكال الاستغلال ،البلدان الإسكندنافية كالسويد والنرويج وفنلندااتخذت تدابير بفرض غرامة مالية قدرها ١٨٠٠ دولار..

وهم يضحكون ففرنسا العالمانية تقدس الحرية " حاجاتنا الجنسية والقانون لا يمكن له أن يحرمنا منها"..

وبدأ اتهام ال٨%من سكان فرنسامن المسلمين برغبتهم فى احتلال بلادهم وهتفوا: تسقط نجاة فالو بلقاسم ؟!. تسقط نجاة فالو بلقاسم ؟!

استفسرت من زبيدة؟ فتنحت بى جانبا وقالت: أنها وزيرة حقوق المرأة الفرنسية ذات الأصل المغربي وهى تدعم بعض النواب الفرنسين لعمل مشروع ضد الدعارة وأن صحيفة "لوفيغارو" الفرنسية أجرت تحقيقا عن الدوافع التي جرت الرجل الفرنسى إلى أحضان العاهرات..وكانت النتيجة"العاهرات يمارسن الجنس مع الزبائن بشكل لا يمكن للرجال أن يقوموا به مع زوجاتهم" .ولكن كل هذا عبث فالقانون الفرنسى لايتدخل بالرضى..ولكنهم يحاولون مقاومة مهنة "الدعارة "راجع،الْقانون الفرنسى !! إِنِّي أعرف من يجمع بين أكثر من واحدَة.. كان هُنَاكَ عصرٌ يجمع فيه الرِّجَال الْجواري والإماء وما ملكت أَيْمَانُهم، لا مفر من الإحتفاء بالجسد بدلا من قمع رغباته.. بدأنا بالْبِغَاء الْمُقَدَّس فِيالْمعبد * وانتهيناباالْمُخَادِنَة، أو العشيقَة.وأدرك الرَّجل مُنْذُ الْبدايَة أنه إذا لم يكتف بزوجته فإنها هِيَ أيضًا لن تكتف به، ولذا ظهر في التّاريخ الرَّجل الذي يصنع لزوجته حزام الْعِفَّة الْحديدي ويُمسك بمِفْتاحِه معه؟! ولكن لأنه خَصَّص لنفسه نساءً أُخْرَيات خارج نِطَاق

---

* يلحق بالهياكل (فِي سومر) عدد من النِّساء منهن خادمات ومنهن سراري الآلهَة أو لممثليهم الذين يقومون مقامهم على الأرض (الرِّجَال) ولم تكن خدمة الهياكل على هَذَا النَّحو الْجِنْسي يعتبر عارا - وكان على امراة من نساء بابل (كما ذكر المؤرخون ومنهم هيرودوت) أن تذهب مرَة فِي حياتها لمعبد الآلهَة ميليتا (Mylitta) حيث تجلس تنتظر أي رجل يدخل إِلَى الْمعبد فإِذَا أعجب الرَّجل بشكلها ألقى فِي حجرها قطعَة من الْفضَة ثم مارس معها الْعمليَة الْجِنْسِيَّة داعيا لها أن ترعاها الآلهَة ميليتا ولم يكن مسموحا للمرأة أن ترفض ما ألقي فِي حجرها؟! فإذا ما انتهت الْعمليَة الْجِنْسِيَّة وانتهى معها واجبها الديني تركت الْمعبد وعادت إِلَى منزلها!!وقد استمر الْبغاء الْمُقَدَّس فِي بابل حتَّى الْقرن الرَّابع قبل الْميلاد، ثم أمر بالغائه الإمبراطور قسطنطين حوالي سنَة٣٢٥ ق .م وكان اسم آلهَة الْمعبد يتغير من بلد، فِي بابل كانت الْبغايا الْمُقَدَّسات يخدمن فِي معبد الآلهَة ميليتا، وفِي كلدانيا وسوريا حلت محل الآلهَة ميليتا الآلهَة "عشتروت" (Astarte)، وفي بلاد الْفرس كان هُنَاك معبد الآلهَة ميترا (mithra) أرمينيا معبد أناييتيس (anaitis) وعلى حدود بلاد العجم معبد الآلهَة أرتميس (artemis) وكانت الْبغايا الْمُقَدَّسات يتألفن من طبقَة الْكاهنات يطلق عليهن (حريم الإله) واشتهرت فِي روما فِي معابد الرّومان الْبغايا الْمُقَدَّسات لدى الآلهَة برياب وباكوس ومتينوس وغيرها .. ويقول كولن ويلسون: إنه لا يرى لهذا الْمعنى إلا أن يَكُون الإله له أعضاء جسديَة وله علامات الذُكورَة.؟! الْمهم أن الْعذراء بعد ممارسَة الْجنس تكتسب التّقديس وتصبح امرأة ومقدسَة فِي وقت واحد . وقد ظل الْبغاء الْمُقَدَّس موجودا حتَّى عصرنا هَذَا فِي بلاد منها: الهند واليابان وتفتح الْمعابد أبوابها فِي الهند والسند لاستقبال الْفتيات اللاتي يهبن أنفسهن للآلهَة ويخصص بعض هؤلاء الْفتيات لإرضاء حاجَة الرِّجَال الْجِنْسِيَّة (حجاج الْمعبد) وغير مسموح لهن أن يتزوجن؟! من قبل زوار الْمعابد!

الزَّوَاج، فهو عاجز عن الاكتفاء بواحدَة ؟! وهو لا يرضى بالتالي كل ما تريده واحدَة! فقد قلدت الْمفاتيح وظهرت الْمفاتيح الْمُصْطنعَة!

فإذا كان الرَّجل الْفاضل له الْحق فِي كل ذَلِكَ، فالْمرأَة الْفاضلَة يكفيها زوج فإن لم يتوفرفعشيق واحد ! ما رأيك أتقبل بهذه الْقسمَة ؟! وإن كان الأمر لن ينتهي ؟! ففي الْمغرب الآن عندنا ما يعرف بالزَّوَاج الصَّيْفي، وهو زواجٌ الْكُلُّ يعرف أنه مُؤَقَّت ولكنه يَصْمُتُ حتَّى لا تَبُور النِّساء والْبنات ! هو زواج مُحَدَّد الْمُدَّة يحل مشاكل الرَّجل الْغَنِي، و الْمرأَة الْفقيرَة مَعَ وجود هَمِّ الْعُنُوسَة الْقابع على أنفاس حَرِيم الْمغرب.. فحَلُّ الْمُشْكِلَة الْجِنْسِيَّة لا يستطيع أحد قولَه، ولا كتابته! العصور تُوجِدُ لنفسها تِقْنيَّة سرِّيَة بأشكال متعددَة لتجديد الْغرام؟! صاحبك المجنون لايعرف أن لكل وزير هنا عشيقة!

تحَرَّكَ الْعقل الْقَانُوني.؟! الْقانون الْفَرَنْسِي لا يتدخل إلا عند الاعتداء على الْحُريَة الْجِنْسِيَّة .. وفى حالَة الرِّضا يُتْرك الأمر لدائرَة الأخلاق– الأمر مُطَمْئِن – !! الاغتِصَاب هو اتِّصال رجل جِنْسِيًّا بامرأَة دون مُساهمَة إِرَادِيَّة من جَانِبِهَا – فإن رَضِيَت – لا شيء فِي الْقانون؟ انطلق لساني الْفَرَنْسِي الأخرس فِي داخلي أليس اعتداء على شرفها؟ ردت رغبتي الْمُتَرقّبَة: الشَّرف مفهوم أخلاقي لا قانوني.الرِّضَا هُنَا قرين الْحُب. الْقانون علم تجريبي إنساني فكيف يغفل الْحب !!

تساءلت: هل ينتهي الْحب عندما تنتهي الْحكايَة ؟! أم أنه يُشبِه الأرابيسك الَّذِي يشتغل على وحدَة رئيسيَة يعيد إنتاجها على امتداد مسطح الْعمل كله؟!

شعرت بأني تخلَّصتُ من الْجمل الصابر، الْمبالغ فِي التّأقلم مَعَ الصحراء، الْقاسي مَعَ نفسه فِي فَهْم نصوص الأقدار تخلَّصْت من حياءِ الْجِمَال الَّذِي تأخذه عليَّ الْمغربيَّةُ السَّمْراء، فالْكلام واضح ولا حَيَاء فِي الْقانون ولا فِي الْعُيون !! فالجَمَل

الَّذِي لا يأتي أنثاه إلا فِي خلوَة رغم رحابَة الصحراء!! يحتاج لمُرَاجعَة الْقانون الْفَرَنْسِي، والاستسلام للقوَّة النَّاعمَة والأقدار النَّاعمَة!!

فلماذا أنا عاجز تمامًا عن أيِّ مُلاطفَة لها وسيِّئ فِي اختيار الْمقعد الْقريب منها الَّذِي يسهل لها مني ممارسَة نَزَوَاتِها أو أُمُومَتها؟ فلم تكن زوجَة ولم تكن أُم، ولكنها من فقهاء قانون الْمدرسَة اللاتينيَّة!

الفصل الثالث:

لقاء طنطاوي ووزير الداخلية الفرنسي نيكولا ساركوزي و لفيف من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وهم "الدكتور صوفي أبو طالب،الدكتور عبد الصبور مرزوق، والدكتور طه أبو كريشة، والدكتور نصر فريد واصل، والدكتور محمد رأفت عثمان، والشيخ إبراهيم عطا الفيومي، والدكتور أحمد الطيب، والمستشار جمال الدين محمود، والدكتور محمد إبراهيم الفيومي، والشيخ فوزي الزفزاف" بالإضافة إلى الدكتور علي جمعة مفتي مصر. وفي تصريحات للصحفيين عقب الاجتماع، عبّر عدد من الأعضاء عن استيائهم لرؤية شيخ الأزهر التي أعطت لباريس "الحق" في حظر ارتداء الحجاب بالمدارس، وذهب أحد الأعضاء إلى اعتبار أن هذه الرؤية "شخصية" ولا تمثل مؤسسة الأزهر، كما انتقدوا إصرار فرنسا على تقييد حرية المحجبات في الوقت الذي تتمسك فيه بمبادئ العلمانية والثورة الفرنسية الداعية في جوهرها إلى احترام الحريات.واعتبر الدكتور عبد الصبور مرزوق "أن أعضاء المجمع فوجئوا بما قاله شيخ الأزهر، وأن هذا الكلام لم يتفق عليه (قبل اللقاء)، وبالتالي فإن شيخ الأزهر يمثل نفسه، ولا يمثل الأزهر فيما قاله بأن فرنسا لها الحق في فرض قانون يمنع ارتداء الحجاب".وأشار إلى أن الأعضاء لم يحتجوا على شيخ الأزهر خلال اللقاء "اتباعًا لأدب الحوار، خاصة أنه قيل بأن الوزير سيعاود الجلوس معنا بعد لقائه بشيخ الأزهر، وهو ما لم يحدث".وأضاف بلهجة غاضبة أن وزير الداخلية الفرنسي "جاء وانتزع ما أراد من الأزهر الشريف"، وأن شيخ الأزهر "من البداية أعطى له الحق، ووافق على قرار فرنسا، وهذا لا يجوز من الناحية الشرعية أو الوطنية أو من أي ناحية، وكان يجب أن نقول لفرنسا وغيرها هل يمكن أن نجبر غير المسلمات لدينا على لبس الحجاب؟!، وأن الحجاب فرض ديني، وليس مجرد شعار". وقال الدكتور عبد الصبور مرزوق الأمين العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية وعضو المجلس الأعلى للبحوث الاسلامية التابعان للازهر "شيخ الازهر لم يأخذ رأينا في البيان الذي أدلى به قبل محادثات مع وزير الداخلية الفرنسي الزائر نيكولا ساركوزي.# :

ورغم ذلك وصلنى خطاب:(احتاج اليك واهرب منك وارحل بعدك من نفسى.. فى بحر يديك أفتش عنك فتغرق أمواجك شمسى ..والحب قرار والبعد قرار.. وأنا لا أملك أن اختار.) بهذه الكلمات اعلنت زوجتى عن حضورها لفرنسا هى وابننا على بعد أن مدت اجازتها لرعاية الصغير سنتين آخريتين،مقررة الإستفادة من فرنسا فى اطروحتها للماجستير فى علم المصريات القديمة،غير مدركه إن نقابها يمثل خرقا لعلمانية فرنسا المتعصبة،وهى لا تدرى ماذا فعل ساركوزى،؟!#

على مساحَة كبيرَة من أرض الْمعارض الَّتِي تقع خارج باريس يجتمع الآلاف من الْمسلمين الْقادمين من أنحاء أوروبا وأيضا أفريقيا وبعض الدِّول الْعربيَّة ، على مدى أربعَة أيَّام –سنويًّا– يلتقون خلالها بالشخصيات الإِسْلامِيَّة من مختلف الْبلاد الأوروبيَّة والإسلاميَّة يتحدثون عن قضاياهم الرَّاهنَة وعن إسلامهم ، وفي الْوقت نفسه تكون مناسبَة لمسلمي أوروبا.. وفرنسا بشكل خاص للاطلاع على آخر الإصدارات من الْكتب والأشرطَة الْمُسَجَّلَة الَّتِي تشرح وتُوَجِّه وتدعو إِلَى التَّمسُّك بالْممارسات والتطبيقات والتعليم الديني . وقد تحدد عنوان الْمؤتمر ليكون: "من أجل إسلام خاص بفرنسا" وهو الشِّعار الذي رفعته الْمنظمات الإِسْلامِيَّة فِي فرنسا مقابل الْفكرَة الأولى الَّتِي يتخوَّف منها الْفرنسيون وهِيَ "الإسلام فِي فرنسا" حيث إن السلطات الْفَرَنْسِيَّة ترفض وجود إسلام فِي فرنسا مُنْفَصِلا وَمُنْعَزِلا عن الْمُجْتَمع الْفرنسي لذلك اختار الاتحاد الإسلامي هَذَا الْعام أن يَكُون شعاره موجَّها إِلَى السلطات الْفَرَنْسِيَّة فِي الأساس لكي يطمئنوا إِلَى أهدافهم .. فشعار هَذَا الْعام يدل على أن الاتحاد لا يريد من الْمسلمين فِي فرنسا أن يكونوا منفصلين عن واقعهم .كانت فرصة ساقها الْقَدَر (أربعَة أيام) للإطلال على الْمسلمين خارج ديار الإسلام .هكذا أعلنت الْفكرَة لزوجتي، بينما كان الهدف الأساسي هو خروجي من أزمَة تطوُّر الْعلاقَة مَعَ (زبيدَة) الْمَغْرِبيَّة، ابنَة مَرَاكِش، الَّتِي وصلت مشاعري نحوها بل مشاعرنا الْمتبادَلَة حدَّ الْعِشْق. كان هَذَا الأمر مؤثِّرًا على علاقَتِي بزوجتي، ساد بيننا صَمْتٌ مُطْبق واستمر أكثر من أسبوع فقدت خلاله طريقي إليها، بل ضاع مني مفتاح مدينتها؟! الْحَقيقَة أن هَذَا الْعشق الْجديد أدخلني مدن الأحزان. وانشغلتُ بحالي حتَّى لا يُؤَدِّي الأمر إِلَى وضع نفسي يَعُوق تَحَمُّل الْغُرْبَة وانْشِغَالي بالدِّراسَة.(زبيدَة) فِي هَذَا التَّوْقيت استولت تماما على مشاعري، ولما كُنْت فِي الْحُبِّ لا أعرف اللَّعِب على خمسين حبل، ولا الانتقال بين النِّساء ..أصابني الْعطَب وتبيَّن لِي أنها لعبَة صعبَة لا أعرفها، أن أغير الأقنِعَة وأعيش الزَّيْف.كان الأمر صعبًا أن تكون شفتاي بين أربع شفاه، وأن أنتقل من حضن إِلَى حضن. كيف أعطي

زوجتي حنان الخيانَة، وألعب سياسَة فِي الْعشق ؟! من الْواضح أني أحادي الهوى، ولكن كيف الصبر على واحدَة طُوَال الْعمر؟! كان ابني الصَّغِير (علي) مَلاك الرَّحمَة بيننا، انْشَغَلْتُ به وانشغلتْ به زوجتي؛ولِذَا بَدَت الْفِكْرَة مُوَفَّقَة، أربعَة أيام مَعَ الزوجَة الشَّرْعيَة، والابن الْعصَب .. وأهل الله من الْمسلمين وحَتَّى وإن اختلفت الْجنسيَّات .

اليومُ الأوَّل: اجْتاحت صالاتِ الْعُرُوض هَذَا الْعام بجانب الْكُتب والْكاسِيتَّات اللافِتاتُ باللُّغَتين الْفَرَنْسِيَّة والعَربيَّة الَّتِي تتحدَّث عن الإِسْلام، وتُعلِن عن الْمدارس الإِسْلامِيَّة وتُطالْب بتبرُّعات لِبناء الْمَساجد خَاصَّة فِي باريس وضواحيها؟! فكان التَّركيز أكثر على التّبرُّعَات وفتح الْمدارس الإِسْلامِيَّة خَاصَّة بعد تطبيق الْقانون الخاص بِمَنْع ارْتِدَاء مَا ينمُّ عن الانتماء الدِّينِي فِي الْمدارس، ومقصود به الْحجاب بالنِّسْبَة للفتيات،وذلك بهدف إعطاء الْفتيات الْمسلمات الْفرصَة ليتعلمن بدون أن يضطررن إِلَى أن يخلعن الْحجاب ..بعدطرد"إرنست شانفير"فتيات مغاربيات محجبات من مدارسهن الثانوية رغم أنهن مواطنات فرنسيات ولدن ويعشن بفرنسا وحيرن بين الحجاب والتعليم ؟بدعوى خرقهن لقانون العلمانية الذى لا يسمح بالرموز الدينية فى مدارس الحكومة العمومية..ولقبته الصحافة وقتها ب(بابا –العلمانية)وفي الْمُقابِل صدر قرار سِيادِي لـ (دي فيلبان) – بتعليم وتكوين أئمَّة الْمساجد فِي فرنسا فِي (جامعَة السوربون) ويبلغ عدد هؤلاء الأَئِمَّة نحو ١٢٥٠ إمام مسلم فِي فرنسا، ويَتَكَوَّن برنامج تدريب الأئمَة أساسا من تعليم اللُّغَة الْفَرَنْسِيَّة،ومبادئ الْقانون والنظام السياسي الْفرنسي، والتاريخ الْفرنسي، وثاني خطوَة تقدم بِهَا دي فيلبان هي تشكيل رابطَة إِسْلامِيَّة تكون مهمتها تنسيق وتنظيم الْعلاقات بين الْمسلمين فِي فرنسا والسلطات الرَّسمِيَة الْفَرَنْسِيَّة، ويكون من مهمتها أيضًا تَقَبُّل التَّبرُّعات والأموال من فرنسا والخارج لرعايَة شُئون الْمسلمين فِي فرنسا؟! وبذلك يَكُون (دي فيلبان) قد منع تمويل الْمساجد من الخارج، وأوقف تأثير الدِّول الأخرى فِي شئون مسلمي فرنسا .وسط كل هَذَا الْمشهد الدِّينِي تَأْتِي خواطر مضْطَرِبَة، أُحاول صرفَها فلا تُصرَف! لم تكن من الشَّيطان بل من داخلي..لم تبرح مخيلتي:

زبيدة"حين نبهتها بأنه لا تزال أشياء بيننا..لا يكفي أن يتعرى الْجسد للجسد؟! وإنما يجب أن يتعرى الإنسان للإنسان ؟! قالت:اخلع خُفَّيْك فإنَّك بالجسد الْمُدَلَّل تطُوى..(قول قبلت بك عروس فترة وجودى بفرنسا،حلالاً وتمتع بى؟!)..كنت أفضل أن تصدنى ..تمنعنى..لا أن نتورط لم افعل أكثر من التجاوب العاطفى والتحرش الذائد؟! استغرب حين قالت:الأمام على تمتع بامرأة من بنى فحشل؟!اهبك متعة وصلنى مهرك من خاتمك

قلت فى فكاهة:اتمارسين السحر المغربى،أم تصنعين تعويذةمن"حكايات ألف ليلة وليلة" للوصال

#زبيدة"عندما أوشكت على الذِّرْوَة أخرجت نفسي لأنتهي على بطنها أحاطت خصري بساقيها وهِيَ تقول :لا..لا.. ابق.!!" كيف؟! أأنا الأوَّل أم مجرد عابر سرير؟ همهمت مَعَ نفسي .. أحبُّك، فما ذنبي إن جاءني حبك فِي شكل خطيئَة؟! ما أجمل ما حدث بيننا، ما أجمل الَّذِي لم يحدث، ما أجمل الَّذِي لن يحدث ؟! نحن لا نُشْفى من ذاكرتنا.

كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات إِلَى الْمسيح ؟ ... هَذَا السُّؤَال أجاب عنه تقرير قُدِّم للمؤتمر فِي اليوم الأوَّل.. وكشف التّقرير أن الْمسلمين هم الأكثر توقيرا لشخص الْمسيح، والأكثر إيمانا بمضمون رسالته الَّتِي بُنِيَت على الْمحبَّة والتَّسَامح، بينما يرى أتباع الْبوذيَّة أنه شقيق لـ "بوذا" رغم التّفاوت الزمني والجغرافي بينهما ؟! وهو يقترب أيضا من موقف الديانَة الهندوكيَّة . أَمَّا اليهود فلا يرونه بكل هَذَا الْجلال والتَّوقير فقد ألصقوا به صفات بَشِعَة ونعتوه بأوصاف وألقاب مُشِينَة . الْمسلمون يؤمنون بالْمسيح

كنبي يسبق محمد – صلى الله عليه وسلم – زمنيًّا وأنه رسول الله جاء بالإنجيل، وبالنِّسْبَة لليهود كانت نظرتهم التّاريخيَة الْقديمَة للمسيح ولا تزال كمُخَلِّص ومُنْقِذ للبَشَرِيَّة وإن كانوا يعتقدون أن الْمَسِيحَ لم يأتِ بَعْدُ وهم ينتظرون مجيئه؟! والنَّظْرَة الْمُتَطَرِّفَة لبعض اليَهُودِ والَّتِي تُخالف ما جاء بالعهد الْجديد "الإنجيل" عن الْمسيح فهم ينظرون إليه بشكل شديد الْقسوَة، ويرون أنه لم يولد من عذراء لم تتزوَّج ؟! ويَتَّهِمون زُورًا مَرْيَمَ الْعذراء بأنها استسلمت للغِوايَة؟! وأنَّ الْمسيح اكتسب بعض الْقوى السِّحريَّة الَّتِي مكَّنَتْه من أداء بعض الْحِيَل الْمَاهِرَة !! وَيَزْعُمُون أيضًا أنه شنق وأُخْفِيت جُثَّتُه لِيَتِمَّ اكتِشَافُها بعد ثلاثَة أيام !!. الْمسلمون ينظرون باحترام شديد وحب للمسيح على الرَّغم من إيمانهم بأنَّ مُحَمَّدًا هو آخرُ الأنْبِيَاء، فهم يُقَدِّسون الْمسيح عيسى بن مريم باعتباره نبيًّا وليس ابنا لله – فالله مُنَزَّهٌ عن ذَلِكَ ، كما يؤمنون بالْمُعْجزَة الَّتِي أتت بميلاد السيد الْمسيح ولا يشكون مُطْلقًا فِي طَهَارَة وبتوليَة السيدَة مريم الْعذراء وأن معجزَة إلهيَة كانت وراء ميلاد السيد الْمسيح، دون وجود علاقَة بشريَة بين السيدَة مريم وأي رجل، كما أنهم لا يتشككون فِي صعود الْمسيح إِلَى السماء .. بل إن معجزَة الْكلام فِي الْمهد للمسيح لم يُثْبِتُها إلا الْقرآن الْكريم وينتهي التّقرير إلى سؤال ناعم كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات الأُخْرَى إِلَى نبي الإسلام مُحَمَّدٍ (صلعم)؟

قُدِّمَ للمؤتمر تقرير بعنوان "السَّلَفيُّون..الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة" جاء فيه : ما معنى الأرثوذكسيَة ؟ هَذَا هو السُّؤَال الأَوَّل الَّذِي يجب الإجابَة عليه قبل الدُّخُول فِي خِضَم الْموضوع وبخصوص معنى هذه الْكلمَة "أرثوذكسيَة" فالْمُتخصِّصون يعرفون أنها يونانيَّة الأصل، وأن لها معاني متعددَة أفاضت فِي شرحها الْقواميس والْموسوعات، لكنها فِي نهايَة الأمر تعني بالْمختصر الْمفيد السلفيَة..ولأن كلمَة "سلفيَّة" ذات وقع إسلامي وجرس عربي فصيح حين تفرِّق بين "السلف والخلف" أو بين الأوائل والأواخر، أو بين الْمُتَقدِّمين والْمتأخرين ولأنها ترتبط ارتباطًا وثيقا بتاريخ الْعقائد الإسْلامِيَّة وحاضرها باعتبارها اسما لفريق من الْمسلمين عُرِفوا بأهل السلف، ولأنها تُشير إلى سيادَة اللُّغَة

الْعربيَّة لهذه الأسباب ظل الْمسيحيون الْعرب يستعملون الْكلمَة بمنطوقها ومعناها اليوناني فيقولون: الروم الأرثوذكس. الأرثوذكس السريان. الأقباط الأرثوذكس. وقد وُظِّف مصطلح "السلفيَة" لصالِح الاستخدام الْغربي أو الأمريكي تحديدا.. فإنَّه لم يعد وصفا لنفر من أهل الْعلم قرروا الالتزام بالتّعاليم الأساسيَّة، أو الْعودَة إِلَى الأصول، وإنما غدا عُنوانا لدعوَة للعُنْف والتَّطَرُّف يَنْعَت "السَّلفيَّة الإسلاميَّة" بالتَّخلُّف والعنف والعداء للدِّيمُقراطيَة وبكل الشُّرورِ والْعِبَرِ، ورغم أن بعض الْغرب انتسب إِلَى مجال الْبحث والعلم إلا أنه لم يلتزم بالقدْر الْمُفْتَرض من الْحَيْدَة والْمَوْضُوعِيَّة؛ لذا فإنه كان فِي مُجْمَله بمثابَة صحيفَة ادعاء أشد حِرصًا على إدانَة الْمُتَّهم. خطورَة ذَلِكَ التّوْظيف اللُّغَوِي أنه يضع جميع الْمُتَدَيِّنين تَحْتَ تصنيف واحد بغير أيَّة تَفْرقَة بين معتدل ومتطرف!!

الأمر الذي يكاد يوحي بأن الْمشكلَة الْحقيقيَّة تكمن فِي التّدين ذَاته وهو معنى يُرَوِّج له الْبَعْض بإشارات مُتَبَايِنَة الآن فِي فرنسا ولأن الْعَمَلِيَّة بدأت كمحاكمَة تكلم فيها الادِّعاء وحده حتَّى بدت الظاهرَة الإِسْلامِيَّة كأَنَّهَا من مواليد حِقْبَة السَّبْعِينَات الَّتِي شهدت ظهور عدد من الْجماعات الْمتطرفَة (التَّكفير والْهِجرَة، والْجِهاد) ويتجاهل تمامًا كل صفحات سجل الإحياء الإِسْلامِي مُنْذُ بِدَايَة الْقَرْن الذي يقف على رأسه نفر من السلفيين الْمُعْتَبَرِين مثل جمال الدِّين الأَفْغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا.

تعرَّفْت على مجموعَة من الْجَزَائِرِيِّين ، كانوا مُنَظّمين ويُمَثِّلُون وحدَة .. بَعْضُهم ذو لِحْيَة كَثِيفَة ولكنهم جميعًا يلبسون الْملابس الإفرنجيَة ، كان حديثهم عن تدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فرنسا فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين، بينما كانت من بينهم أصوات تطلب غلق الْملف ، لأن ما حدث فِي الْجزائر باسم الإِسْلام جَعَل النَّاس تقول: ليت الْفتح الإِسْلامي لم يَصِلْ أرضَنَا ؟! كانت التّركيبَة النَّفْسيَّة لِلْجَزَائِرِيِّين جَادَّة للغايَة وكأَنَّهَا لا تعرف التّفريج عن النَّفْس لا بالقول ولا بتقاطيع الْوجوه، فِي الْواقع كان لديهم عَجْزٌ عَاطِفِيّ عن التّواصل، اللُّغَة الْعربيَّة بينهم (حادَّة) ومخلوطَة بالفَرنْسِيَّة. ويبدو أن الثَّورَة والجهاد الطويل وما بعد ذَلِكَ جعل هُنَاكَ مشاكل فِي الْبِنْيَة النَّفسيَة والعاطفيَة لَدَيْهِم.

جاء..اليَوْمُ الثَّاني: وهو يوم اهتمام الْمؤتمر بالْملابس الإِسْلامِيَّة وبمظهر الْمُسْلِمين؛لِذَااهتم الْمُنَظِّمُون بتخصيص مساحات أكبر لِلْمَلابِس وعرضوا الْملابس الإِسْلامِيَّة للسيدات"دعوَة وير" أو ملابس الدعوَة فاحتلَّت مساحات أكبر من أيَّة ماركات أخرى كما عرضت ملابس صنعت فِي بلجيكا وفرنسا حتَّى تكون الْمرأَة الْمسلمَة كما يقول الْمسئولون "أنيقَة بدون أن تظهر خطوط جسدها- راقيَة دون أن تخالف ربها - مُتَرَفِّعَة عن الْفتنَة". من ضمن الاحتفال فرنسيات أَعلنَّ إسلامهن.. كُن يجلسن فِي خشوع ملتزمات بالزِّي الشَّرْعِي الإسلامي،يَحْكِين(قصَّة إسلامهن)ليتبين للحاضرين أن الأمر تم بإرادَة كاملَة.وبدون تبشير — وهو أمر قُصِدَ ؟! يروين قصصهن وأحوالهن على مسرح صغير بخلفيته آيَة قرآنيَة {فمن شاء فَلْيُؤْمن ومن شاء فليكفر).. وترجمَة بالفَرَنْسِيَّة لها

- (ميشيل) ... أصبح اسمها (جميلَة) عمرها ٢٤ ربطها الْحب بزميل لها سوري مسلم دعاها إِلَى وطنه فسافرت إِلَى دمشق وهُنَاكَ استمعت إِلَى الأذان لأول مرَّة. وتمضي ميشيل فتروي قصَّتها: كنت أشارك إحدى زميلاتي فِي غُرفَة معيشتنا، وكانت هذه الزَّميلَة تهتم بالأديان وكنا نتناقش لساعات طويلَة فِي هذه الْموضوعات، ولاحظت زميلتي أن آرائي تأخذ دائما جانب الإسلام وتتعجب لهذا، وكنت أرى أن آراء الإِسْلام أكثر منطقيَّة وأنها صريحَة وواضحَة وقريبَة من الطَّبِيعَة الْبَشَرِيَّة . وقد كان واغْتَسَلْتُ ونَطقْتُ الشّهادَة وارتديت الزِّيّ الإِسْلامِي وتَعلمتُ الصَّلاَة وبدأت أقرأ الْقرآن، وكانت الْبدايَة فِي آخر أيام رمضان الْماضي. وتسأل (جميلَة) هل كان لملابسك الإِسْلامِيَّة تأثير على حياتك؟! تقول: فَصَلَني صاحب الْعمل من وظفيتي الَّتِي كنت أعتمد على دخلها فِي حياتي. لكن زوجي ساعدني وطلب مني التّفرغ لدراستي وبيتي، وأنا الآن أنتظر مولودًا إذا كان صبيًّا سأُسَمِيَة (بلال) وإذا كانت فتاَة سأُسميها (صَفيَّة). وتجري دموع جميلَة على وجهها وتقول: أشعر كأن أحدًا قد غسل عيوني ثم أعادهما إِلَيَّ مرَّةً أخرى، لقد تغير العالم فِي نظري، هذه الدُّنْيَا جديدَة وحياَة مختلفَة وتسأل: ما هي الرِّسالَة الَّتِي تبعثين بِهَا إِلَى الْمرأَة فِي الْبلاد الإِسْلامِيَّة ؟ - يجب أن تعرف الْمرأَة الْمسلمَة أن حُرِّيَة

الْمرأَة فِي أوربا ليست حريَة حقيقيَة، فليس لها حقوق متساويَة فِي الأجر والعمل مثل الرَّجل، كما أن الرَّجل هُنَا لا ينظر للمرأَة نظرَة احترام، ولا يفكر فيها إلا كشريكَة فِي الْفراش؟!

– بُثينَة تحكي تجربتها : (فِي عام ١٩٧٦ شعرت أنَّ عليَّ واجبًا هو أن أفهم جيِّدًا دين زوجي، فقد كنَّا على وشك الإنجاب، وبالصُّدْفَة شاهدتُ فيلم "الرِّسالَة" الَّذِي كان نُقطَة تَحَوُّل كبير، فقد بدَأْتُ بعد أن شاهدته أكثر مِن مرَّة أقرأ وأسأل كثيرًا عن الإسلام.. قبل إسلامي لم أكن أرى حرجًا فِي أن أرتدي الْملابس الْقصيرَة أو الْعاريَة خارج الْبيت – رغم أني كنت مسيحية مُتَديِّنَة؟! أَمَّا الآن فإني أدعو الله فِي كل لحظَة أن يُسَامِحَني على هذه الأخطاء وأتمنى أن أقول للنَّاس الَّذِين يَرتَكبون الْمَعاصي لماذا لا تتَّبِعون تَعَاليم الإِسْلام، إنَّه دين بسيط وعظيم وهو يحمينا من هذه الأخطاء كما يحمي عالَمنا من الشُّرور)

– (ليندا – ٣٠ عاما) تعترف.. شيئا واحدا كانت تعرفه عن الإِسْلام والْمسلمين، فهؤلاء الْمسلمون إرهابيون، مُتَخصِّصون فِي خطف الطائرات وإشاعَة الرُّعْب فِي أي مكان يتواجدون فيه، وكانت مفاجأَة لها عندما قال لها "يحيى" صديقها الْبريطاني الْمسلم: إن الإِسْلام يعترف بالْمسيحيَة وباليهوديَة كَدِينَيْن سَمَاوِيَّيْن، وإنه يحترم أنبياءها وأتباعهما، وبدأتُ أسأل "يحيى" كلما الْتَقَيْته عن هَذَا الدِّين الَّذِي يعتنقه والَّذِي اكتشَفْتُ أنَّه دين حب وسلام ورحمَة، وليس دين إرهاب أو دماء، ثم تعرفت على بعض الشّعائر وتبيَّن لها خُلُوُّها من التَّعْقيد. تسأل ليندا: لماذا لا تحرصين على وضع غطاء الرَّأس مثل باقي زميلاتك ؟؟ أنا ملتزمَة بقواعد الْملابس الإِسْلامِيَّة فيما عدا غطاء الرَّأس فهذا صعب جِدًّا.. بسبب ظُروف عملي، وأنا أعرِف أني مُخطئَة فِي ذَلِكَ، ولكنِّي مُضْطَرَّة لأَنَّ الْعمل فِي بلدي فَرَنْسَا يَتطلَّب ذَلِكَ، وأنا مُلتزمَة بنظام بلدي، وأعرف أنَّ الله يغفر للمُضْطَرِّ! وطبعًا أنا أُغطِّي رأسي أثناء الصَّلاة وأثناء وُجُودي داخلَ الْمسجد، وأدعو الله أن يساعدني على الالتزام بهذا فِي كلِّ وقت كما ساعدني من قبلُ

على الابتعاد عن شُرب الخمر، كما أكسبني سلوكا هادئا وصبورا، وكنت عَصَبيَّة جِدًّا قبلَ هَذَا .

– اسمها (جاكرو) ومنذ أكثر من عشرَة أعوام عرفتْهَا أديرَةُ الرُّوم الْكاثوليك كراهِبَة تَقِيَّة كرَّست حياتها لخدمَة الرَّبِّ .. وإلى أعماق إفريقيا تسافر لتكون فِي خِدمَة الإفْريقِيِّين ترعى فقراءهم وتُداوِي مَرْضَاهُم إلا أنَّ الأمراض داهمَتْها بسبب حرارَة الْجَوِّ فعادت إِلَى أسكتلندا حيث عمِلَت فِي مجال رِعايَة الْمُسِنِّين . وبعد ثَمانِ سنوات من حَياة الرَّهْبنَة وقَبْلَ أنْ تُلْقِي الْقَسَم الْكبير، قرَّرت الرَّاهبَة التّقيَّة أن تترك الدِّير بعد أن فشلت فِي أن تُقْنع ضميرَها بأن هَذَا هو الطَّرِيق، وتمضي السَّيِّدَة جاكرو والَّتِي اسمها الآن (حَليمَة).. فِي حديثها حول تجربَة اعتناقها للإسلام فتقول: الإسلام هو الدِّين الَّذِي يسمح لك "بالتَّقَرُّب إِلَى الله بغير قُيود فأنت حُرٌّ فِي اختيار مَنْهَجِك وحَيَاتِك الَّتِي تُحقِّق لك فِي النِّهايَة هدفًا واحدًا عظيمًا هو مرْضَاة الله . فالإسْلام لا يشترط أن تنعزل اجتماعيًّا عن حياَة النَّاس حتَّى تكون مُؤْمنًا صالِحًا بل هو يَأْمُرُكَ أن تُمارِس حياتك الطَّبِيعِيَّة . أَمَّا دُسْتورالإسْلام وهو الْقُرآن فهو كتاب صريح وواضح وواقعي وتَأْتِي السُّنَّة النَّبويَّة فتفسر الآيات وتُوضِّح مضمونها. كانت تجربَة الصوم عظيمَة لِي، شعرت معها بصفاء عجيب يَغْمُرُنِي، وارتاحت نفسي وبدأت روحي تَسْمُوفي هَذَا الطَّقْس النِّسائي الْفاقِع تمتَّع الصَّغِير (عَلِيّ) بأحلى أوقاته هو والصّغَار فِي مثل سِنِّه الشِّيكولاتة والْبُنْبون، وفوق ذَلِكَ الْقُبُلات والْحنان .. كان يَسِير مَعَ أُمِّه (زوجتي) وفِي كُلِّ مرَّة يتلقى قُبلَة من جَميلَة ، أقترب منه وأُقبِّله فِي نفس الْموضع !! لاحظَتْ زوجتي فأطلقت ضَحِكَة وهي تربُتُ على كتف الصَّغِير .انشرح قلبي لِبدَايَة الْوصال، فأمسكتُها من وسطها بِحبٍّ .. وسرنا ثلاثَتُنا وَسَط الزِّحام . كانت زوجتي قد أَوْجدت لِنَفْسها نشاطا مَعَ أُخريات وهو تعليم ربطَات الْحِجَاب لأكْتَشِفَ أنَّ الْمرأَة الْمُسلمَة صنَعَت عَالَمًا من الْموضَة ، فهُنَاكَ الرَّبطَة الْمِصريَة، وهُنَاكَ الْخَليجِيَّة، وهُنَاكَ الرَّبطَة باستعمال نوعين من الْقُماش. والغريبُ أنَّ النِّساء كن يعرضن على الْفرنسيات الْمسيحيات بسذاجَة تجربَة ارتداء الْحجاب والفرنسيَّات سعيدات بالتَّجْرِبَة ويتَصَوَّرْن فوتوغرافيا بالْحِجَاب!! تمامًا كتجربة التّصوير

للسياح عند الأهرام بالعقال الْعربي فوق الْجَمَل، وحينما أبدت بعض الْفرنسيات رغبَة فِي شراء الْحِجَاب، تعاونت النِّساء الْمُسلماتُ فأعطيْنَه لهُنَّ هَدِية ولم يَنْسيْن أن يقولنَّ : إنها هدِيَّة فِي الله !!لا أعرف كيف ظهرت وسط ذلك.. الْفَرَنْسِيَّة الْملهوجَة كثيرَة الْحَرَكَة والقلق والَّتِي أخذت آخر سيجارَة من سجائري الْمنتول وعلَّقَت وهِيَ تُدَخِّنها فِي نَهَمٍ بعبارَة: ألا زال موجودًا هَذَا التّبغ السيئ ؟ ثم كيف أنسى لها أنها أخرجت لِي أصبعهاالْوسطى من خلف ظهرها لى فى وقاحة غير متوقعة لم أرد عليها!!فكَّرتْني زوجتي حينما قالتْ أنَّها باحِثَة فرنسيَة مُهْتمَّة بالْبحث فِي (الْحِجَاب) وأنها أهدتْها حجابًا من قطعتين من الْقماش بألوان زاهيَة، ولكنها "كثيرَةُ الرَّغْي" وطلبَتْ منِّي أن أُسْعِفها باعتباري "سِيبَوَيه" الْفَرَنْسِيَّة كما سبق وأن أشعْتُ لها؟؟ ولكنِّي أخذتُ ثأري بتحويلها على جزائري ذو لحيَة كثيفَة، لينْتَقِم بطريقَته من تَدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فَرَنْسَا – فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين أجهضه تدخل الْغرب– !! لأرد عَلَيْهَا أُصبعها الْوُسطى الَّذِي أخرجتْه من خلف ظهرها !!

اليومُ الثَّالث:بدأ اليوم بِمُهَاتَرات بين الاتِّجاهات الإسلاميَّة بما يوحي بأن "الشَّيْطان" عرف الْمكان.. وبدأ الْوسواس بالسُّؤال: لِمَا نقدم الدَّنيَّة فِي ديننا؟ كانت الْبِدايَة من الْجزائريين .. وانضم لهم الْمصريون والإيرانيون. دون باقي الْجاليات الإِسْلامِيَة! لا يوجد إسلام فرنسي وآخر إنجليزي؟! يوجد إسلام واحد .. الإِسْلام لا يتلوَّن بلَوْن الأرض؟! أن يَكُون عنوان الْمؤتمر "من أجل إسلام خاص بفَرَنْسَا" فهذا خروج عن الْمِلَّة؟! وَأْدُ الْفِتنَة محاضرَة موضوعها (ما هدف الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة ومحورها بل هدف كل الشَّرائع السَّماويَّة؟!)

يقول الْمحاضر: النَّص صريح فِي الْقرآن.. يقرر بوضوح أنه الْعدل .. بناءعلى ذَلِكَ فإن النَّظر الإِسْلامِي الصائب والالتزام الأمين هو ذَلِكَ الَّذِي يمضي فِي التّطبيق سالِكًا طريق الْعدل والْحريَّة مبتدئ بمدارجه ومنتهيا إِلَى مقاصده، فقد ذكر ابن الْقَيِّم فِي (أعلام الْمُوقِّعين) : إن الله أرسل رُسُله وأنزل كتبه ليقُومَ النَّاسُ بالقسط، وهو الْعدل الَّذِي قامت عليه السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الْحق، وقامت

أدِلَّة الْعدْل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثَمَّ شرع الله ودينه ورضاه وأمره. وابن تيْميَة هو الْقائل : إن أمور النَّاس تستقيم فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعدل الَّذِي فيه الاشتراك فِي أنواع الإثم- أكثر مِمَّا تستقيم مَعَ الظُّلم فِي الْحقوق وإن لم تشترك فِي إثم؟! واستشهد بمن قال: إن الله يقيم الدَّولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة، ولا يقيم الدَّولَة الظَّالِمَة وإن كانت مُسْلِمَة... ثم قرَّر أنَّ الدُّنْيَا تدوم على الْعدل والْكفر ولا تدوم مَعَ الظُّلم والإِسْلام . لم يُعجبْنَا بالطَّبع أن تكون الخُلاصَة أن الله يقيم الدولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة ولا يقيم الدولَة الظالِمَة وإن كانت مسلمَة؟! فالدول الظالِمَة غير الْمسلمَة قائمَة؟! ولذا قال الْمُتحمسون: "اللَّهُ يفعل ما يشاء.." ..وقال بعض الْمتخصصين: إن هَذَا رأي للمعتزلَة، يريدون أن يجبروا (الله) تجلى وتنَزَّه، على فعل ما يروه هم مثالي ؟! ولكنه لا يحيط به الإنسان علما. يملك الْقضاء والقدر، والعسر واليسر.. ويجعل ذلك كله فتنَة ليختبر النَّاس .كذلك حدث خلاف حول الاستِشهاد بالْفَقيه الْحَنَفي "ابن عابدين" حين أفتى فِي حَلِّ نزاع اثنين على طفل أحدهما مسلم، والثاني غير مسلم حين حسم الأمر لصالِح غيرِ الْمُسلم لأنَّه ادَّعَى أنه ابن له. مُعْتَبرا أنَّ تنْشِئَة الطِّفل على حُريَة ولو على غير دِين الإِسْلام أفضل من تنشئته على الْعُبودِيَّة فِي ظِل الإِسْلام !!ولكني أُعجبْت به رغم قِدَمِه، فقد كان الرَّجل واعيًا بأهمِيَّة قيمَة الْحُرِّيَّة عندما وَاجَه ذَلِكَ التّعارض بين الْقِيمَة والْمِلَّة.

عَادت الْفِتنَة بِوَرقَة عمل أثارت الْحَفِيظَة الْفَرَنْسِيَّة، الأَمر الَّذِي جَعَل الأَمْن يَظْهر بِقَبْضَة شديدَة. كانت ورقَةُ الْعَمَل تتحدث عن "الاسْتِشْراق ودوره ضِدَّ الإِسْلام" حيثُ أرجعت تاريخ الاستشراق فِي بعض الْبلدان الأوربيَّة إِلَى الْقرن الثَّالِث عَشَر الْمِيلادِي، والسبب الرَّئيسِي الْمُباشِر الَّذِي دعا الأُوربيين إِلَى الاستشراق هو سبب ديني فِي الدَّرَجَة الأولى؛ فقد تركت الْحرب الصّلِيبيَّة فِي نفوس الأُورُبِّيين ما تركت من آثار مُرَّة عميقَة، وتَمَّ ربط ذَلِكَ باليونسكو.؟!لِتُصبح - مُفْتَريات اليونسكو - على الإِسْلام، نار الله الْموقدة؟! فما جاء فِي موسوعَة اليونسكو (تاريخ الْجنس الْبشري وتقدُّمه الثقافي والعلمي) وفي الْفصل الثَّالِث من الْمُجلَّد الثَّالِث:(الْحضارات الْكبرى فِي الْعصر الْوسيط)

وهذه الْموسوعَة كَتَبَ فصُولَها : جاستون فييت وفاديم الييف وفليب وولف وجان نادر، والفصل الْعاشر من هَذَا الْمُجلد خاصٌّ بالعرب وقد سَوَّدَ كاتبُه صفحات هَذَا الْفصل بِمِدَادٍ هو مَزِيج من التّشْويه لتاريخ الإِسْلام والافتراء على سيرَة نبي الإِسْلام وخلفائه الرَّاشدين. إنها مُحاوَلَة لإنجاز تاريخنا الطَّويل فِي نَيِّفٍ و٣٥٠ صفحَة؟! (جاستون فييت) الْمؤلِّف الْفَرَنْسِي- فِي موسوعَة (اليونسكو) زعم أن الإِسْلام احتفظ فِي رُكن من أركان الْكَعبَة بالصَّنَم الرَّئِيسي للمَكِّيِّين ألا وهو الْحجر الأسود!! ويبدو أن (جاستون فييت) كاتب الْفصل الخاص بالإِسْلام كتب ما كتب على الأرجح وهو متوتر الأعصاب. فمن مزاعمه الَّتِي هِيَ أهون من أن يُرَدَّ عَلَيْهَا ادِّعاؤه أنَّ الشَّرِيعَة الإِسْلامِيَّة حتَّى معظم الْقرن الأَوَّل الهجري لم يكن لها وجود بالْمعنى الدقيق لهذه الْعبارَة؟! ويحاول الْكَاتب أن يُسْنِدَ زعمَه بأنَّ الْمظاهر الْفنِّيَّة للشَّرِيعَة لم تكن موضع اهتمام من جانب الْمسلمين، ومن ناحيَة أخرى ترتَّب على هَذَا وذاك أنَّ الْمسلمين اضْطرّوا إِلَى انتحال الْقدْر الْكبير من النُّظُم الإداريَّة والقضائيَّة من الْبلاد الَّتِي فتحوها، ثم يُوَاصِل الْمستشرق الْفَرَنْسِي افتراءه فيَدَّعي أنَّ مصادر الشَّرِيعَة الإِسْلامِيَّة هِيَ الْقانون الرُّومَاني الْبِيزَنْطِي والقانون الْفارسي السَّاسَاني وقانون التّلمود بالإضافَة إِلَى الْقَوَانِين الدِّينِيَة الخَاصَّة بالْكنائس الرَّاقيَة.؟

-"" ونَصِيحُ بالرَّفْض.""

الإِسْلام كما تقول (موسوعَة اليونسكو) تركيب مُلَفَّق من الْمذاهب اليهوديَّة والْمَسِيحيَّة بالإضافَة إِلَى التّقاليد الْقوميَّة الْوَثنيَة الْعربيَّة الَّتِي أبقى عَلَيْهَا كطقوس قَبَلِيَّة تجعلها أكثر رسوخا فِي الْعقيدَة؟

-""ونَصِيحُ بالرَّفض.""

تَزْعُمُ مؤْسوعَة (اليونسكو) أن الإِسْلام لم يُنْصِف أهلَ الذِّمَّة وأنَّ الإِسْلام عَمِل على أن يظَلَّ الْوضع الاجتماعي للذِّمِّيِّين وضعًا سَيِّئًا مَهِينًا، ويَسْتَدِلُّ الْكاتب بالجِزْيَة

الَّتِي فُرِضَت ويرَاها ضَرِيبَة بَاهظَة أَثْقَلت كَوَاهِل الذِّمِّيِّينَ ثم يَزْعُم أن ازدياد انتشار الإِسْلام بين الذِّمِّيِّينَ أدَّى إِلَى تناقص الدَّخل من هذه الضَّرَائِب .

-""ونَصِيحُ بالرَّفْض.""

ويكون الْقرار الْجماعي السريع الرَّد على مفتريات (اليونسكو) ودائرَة معارفها ومحرروها من الْمستشرقين الَّذِين يغلب عليهم التّعصُّب، دون أنْ نعرف - كَيْف.. وَمَن ؟! أهو مُجرَّد تفريغ!كانت الخِطْبَة بالفَرَنْسِيَّة ومع الصَّيْحات الْمُتَتابِعَة لنا، وكون الْمركز الرَّئيسي لليونسكو بباريس ردَّ فِعْله على الْمُتَفرِّجين من الْفرنسيين وقد قُوبِل ذَلِكَ بمُضَايقات فرنسيَة بَدَت طبِيعيَّة من الأمن بالتَّأكُّد من أوراق الإِقَامَة، وعدم وجود هِجْرَة غير شَرْعيَّة،وعمل الْكَارِدُونَات بِحُجَّة النِّظام!! الأمر الَّذِي أدى لمناقشَة بيننا.وكان للسوريين رأي عاقل، يرى أنَّ فَرَنْسَا والغرب تقصد بالإِسْلام ممارسات الْمسلمين على الأَرْض بينما نسوق لهم النَّصوص الْمُقَدَّسَة والعقيدَة، وهذه طريقَة لا تُفيد لأنهم غير مُلْزَمين بنصوص عقائدنا — فإذا جاءت اللغة الْفرنسية فلْنَعِي أنَّنا نُدِير حِوارًا ولا نُكلِّم أنفسنا؟! اعْجِب إمام الْمسجد الْكبير"مسجد ليون" الَّذِي حضر الْمؤتمر بما طرحه السُّوريون فأعلن أنَّ مِن الْكُتب الْمَعْروضَة، كتب تَرُدُّ على كل ما جاء فِي موسوعَة اليونسكو * وأنه قرأ بالأمس كتابا منها ل د/ صوفي أبو طالْب عن فِرِيَة أنَّ الشَّرِيعَة مُسْتَقَاة من الْقانون الرُّومَاني، وقدّم شابٌّ فرنسي يُدعى (جون جورو) اعتنق الإِسْلام من ٧ سنوات ليقرر بأنه سمح بتأسيس الْمعهد الْفَرَنْسِي للدراسات الإِسْلامِيَة، وهو معهد يهتم بالرُّوح الْموجودَة بالإِسْلام وليس بالشَّكْل كالْحِجَاب والْجِلْباب وبالتَّالي فهو أقرب للصُّوفيَّة

* **اليونسكو - الاسم الْموجز الَّذِي اشتُهرت به وهو الْحروف الأولى للكلمات الَّتِي يتألف منها اسم الْمنظمة في اللغَة الإنجليزيَة إحدى الْمنظمات التَّابعَة للأمم الْمتحدَة للتربيَة والعلوم والثقافَة .. تأسست فِي عام ١٩٤٦ لدعم التَّعاون بين الأمم عن طريق التَّربيَة والعلوم والثقافَة، ولتعزيز الاحترام الْعالْمي للعدل وحكم الْقانون وحقوق الإنسان والْحريات الأساسيَة .وهى تعمل على إنماء التَّبادل الثقافي بين الدّول وجعل الأعمال الْفنيَة والأدبيَة والفلسفيَة في تناول الشّعوب .**

وقال:بخاصَة، أننا أبناء مجتمع غربي تحكمه قوانين عَلمانيَّة وهذه الْحالَة من الشّفافيَة والسماحَة هِيَ الأفضل لمؤتمر شعاره "من أجل إسلام خاص بفَرَنْسَا" التّصوف – فيما أعتقد – قادر أن يَكُون سفير حقيقي للإسلام مَعَ الْعالَم.

اليَوْم الرَّابع: أصاب الْقلق بعض الْجاليات الإِسْلامِيَّة فِي باريس عندما صدرت مجلَّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة وعلى غلافها رسم كبير زعمت أنه يمثل النَّبي محمد – صلى الله عليه وسلم- وابنته فاطمَة، وزوجها علي بن أبي طالِب وتحت عنوان كبير "الْحياة الْحقيقيَّة لمحمد" فالرَّسم ممنوع للأنبياء جميعًا فِي التّقاليد الإِسْلامِيَّة ولكن الْبعض قرر أنها ليست مجرد التّقاليد الإِسْلامِيَّة بل إن التّصوير محرم بالسُّنَّة!! وادركت زوجتى بأننا محاطين بجوقة من المسلمين الشيعة.حينما احتد الخلاف حول: هل الرَّسم كالتّصوير؟! تركتُ الْمَكَان وزوجتي لنشاط اجتماعي آخر للمؤتمر انضممنا له وهو "زيارَة الْمرضى الْمسلمين من جميع الْجنسيات بمستشفيات فَرَنْسَا" كانت مجموعتنا تتكوَّن من ٧ أشخاص أحدهم إيراني،وتوترت زوجتى وهى تتعرف على النساء معنا فى المجموعة، حين أظهرن امتعاضا وعدم ترحيب بها من مجرد سماعهن اسمها (عائشة) ؟! علَّق الايرانى تَعْليقا مُرَوِّعًا بالنِّسْبَة لِي ونحن فِي باص زيارَة الْمستشفيات وهو يقلب،ويبحلق، ويقرأ فِي نسخَة من مجلَة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة

:هل لاحظتَ الشَّبه فِي الرَّسم بين وجه الرَّسول ووجه الإمام عَليّ ؟!

أنا:نعم تكاد تكون الْملامح واحدَة فِي الْعيْنين والذقن، هل لهذا معنى ؟!

قال:الرسم مدروس،ومجلَة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة ليست سهلَة ولا خفيفَة إما أن يَكُون الرَّسام تأثربالشيعَة أو يريد أن يشير لنظريَّة أنَّ لكل نبيٍّ وصِيًّا ...تدخَّلت لِبنانيَّة فِي الْمجموعَة، وكانت أوَّل لِبْنَانيَّة مُحَجَّبَة أراها حتَّى هَذَا الْوقت فِي فَرَنْسَا ؟! كانت ترتدي عباءَة أنيقَة تشم فيها رائحَة الْعنبر، وحِجاب زاهي الألوان، كانت بدون مكياج وبكحل خفيف فِي الْعيون .

قالت :هذه أوَّل مرَّة تُرْسم فيها سِتَّنا فاطمَة كيف حدث ومن يجرؤ؟!

قلت: الرَّسم ليس فيه فحش أو تعريض، والفرنسيون لا نُعَامِلُهم بالنَّص الْمُقَدَّس لدينا، وهم يرسمون رموزهم الدِّينِيَة الْمسيح، ومريم الْعذراء والعائلَة الْمُقَدَّسَة !!

تلقَّيْتُ الْعِتَاب من الْعُيون حتَّى عيون زوجتي . وقف الْباص أمام مستشفى لعلاج السَّرَطَان، كان معنا هدايا رمزيَّة، بدا تلقين الأمَّهَات لصِغَارِهن عن كَيْفِيَّة تقديمها للمرضى بابتسامَة، تلقى الصَّغِير "علي"من أمه الْمأمُورِيَة باستعداد مُرضِي، كان هُنَاكَ تعقيم قبل الدُّخُول عبارَة عن كيس نايلون يُلْبس على الْحذاء وجونتي فِي اليد، الأطفال اعتقدوا أنها لعبَة ! الأَلَمْ واليَأْس فِي عيون الْمرضى، لكنه عند مُرَافِقِيهم أضعاف مضاعَفَة؟! وجودُنا مَعَ الْفرحَة فِي عيون الأطفال وهم يقدِّمون الهدايا خفَّف كثيرا، النِّساء فِي الْمجموعَة لهن وقع السحر، فبينما الرِّجَال فِي صمت، كن هن فِي حركَة وثرثرَة وقُدرَة على تجاوز محنَة الْمرض الخبيث !! التّنوع فِي نساء الْمجموعَة من حيث اللغات والجنسيات جعلهن يعملن فِي تناغم، زوجتي تحتضن زوجَة مرافقَة لزوجها الْمريض، هو ضابط مصري من الْمَظَلَّات لا أعرف كيف تستدعي زوجتي النَّص الْمُقَدَّس فِي حديثها فيكون نسمَة، بلسم شفاء، بردا وسلاما !!

– الْمؤمن مصاب .. ومع الْعسر يسر . ثقي فِي شفاء الله.

.اللِّبْنَانيَّات يُدِرْن مَعَ الْمرضى أنفسهم الْحديث بعُذُوبَة وفُكَاهَة .. لقد لغين من أذهانهن أنهم مرضى، فهل حروب لبنان الدَّاخليَة أعطتهن مَيْزَة الخِبرَة ؟! كن فوق الْموقف بالنِّسْبَة للرجال الْمرضى الَّذِين بدون مُرافِقين، وَصَلْنَ معهم لِحَدِّ التّدْلِيل ومُسَاعدَة الْمُمَرِّضات، والْمُحايلَة لتناول الدَّواء والطَّعام .. وصل الأمر لحَدِّ الْعِنَاق والقُبلَة على الرَّأْس. قد يدخلنَ الْجَنَّة بفعلهن!! أعتقد ذَلِكَ ..فأنا نوع من الْبشر لا أرى إلا اللهَ الرَّحيم. الْمرضى الآن أفضل، لمعَة الْعيون فيها بَصِيص أَمَل أيَّتُها الْمرأَة ما سِرُّكِ ؟! لم

يُسْمَح لنا ولم يكن لَدَيْناكرجال نفس الْقُدرَة والهِمَّة مَعَ الْمَريضات!! كان سُقُوط الشَّعر كَأَحد أعراض هَذَا الْمرض جعلهن يرفضن مُجرَّد الزِّيارَة والسَّلام فانشغلت النِّساءُ بالنِّساء والرِّجال معًا. قلت لنفسي وأنا أُقَلِّب "مجلَّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة" باستراحَة الْمستشفى: إذا كان ما حدث حدث لمجرد الرَّسم فماذا داخل النَّص؟! وبدأتُ الْقِراءَة .. تبدأ الْمَجلَة مَلفَّها بِالقول: لم يتردَّد اسمُ رَجُلٍ مثلما يتردد اسمُ مُحَمَّد، ولم يُؤَثِّر رجل فِي أَرْوَاح وقلوب هَذَا الْكَمِّ مِنَ الْبَشَر مثلما أَثَّر مُحَمَّدٌ .. اسمه يتردد يوميًّا على أَلْسِنَة مليار مسلم حول الْعالَم، وحاليًا يُعد دينُ الإِسْلامِ الدِّين الثَّاني فِي فَرَنْسَا بعد الْمَسِيحِيَّة .مِن الْمُستَحِيل تَحْدِيد الْيَوْم الَّذِي وُلِدَ فِيه مُحَمَّد يُقَال إنه ولد فِي مكَّة وقتَ حُكم الْمَلِك كسرى الأَوَّل عاهِل الْفُرس أي قبل عام ٥٧٩ ومن الْمُرَجَّح أن يَكُون قد وُلِدَ بين ٥٦٧ و٥٧٣ وَيُؤَكِّد الْمؤرِّخون الْعَرَبُ كل ما حدث فِي مَكَّة فِي عام الْفيل الشّهِير الَّذِي من الْمُرَجَّح أنه كان عام ٥٧٠، فِي ذَلِكَ الْعَام كان مَلِكَ الْيَمَن أَبْرَهَة يَسْتَعِدُّ للدُّخول إِلَى مَكَّة واستطاع تدبير جيش ضخم واصطحب معه فِيلا خارِقَ الْقُوَّة ثُمَّ تَوَجَّه إِلَى مَكَّة، وتَفْشَل حربُ أَبْرَهَة الْمقصود بِهَا الْكعبَة ذاتها بِإِرْهَاصَة تُشْبه الأَسَاطِير سَجَّلَها الْقرآن فيما بعد، ولا تكتمل الْقِصَّة إن لم نذكر أنه عند دخول أبرهَة إِلَى مَكَّة وجد نفسه يُوَاجه رجلا قوي الْمِرَاس أَلا وهو عبد الْمُطَّلب الَّذِي حذَّر أبرهَة مِمَّا سيُلاقِيه إن حاول تدنيس الْكعبَة، وَكان عبدُ الْمُطَّلب ذَلِكَ الرَّجل الشُّجاع هو جَدُّ الرَّسول مُحَمَّد . كان ابنه اسمه "عبد الله" وتزوَّج عبد الله من فتاَة من أسرَة كريمَة، وكان اسمها "آمنَة" ونتج عن هَذَا الزَّوَاج ولد واحد وهو مُحَمَّد، لكن عبد الله لم تُتَح له الْفرصَة لِرُؤْيَة ابنه ، فبعد زواجه بفترَة قصيرَة، وفي أثناء عودته من رحلته من سوريا تُوفِّيَ وترك لزوجته خادمَة كبيرَة

السِّن، وخَمْس ناقات وجَنِينًا، وَيَقُول الْمُؤَرِّخ الإِسْلامي ابن سعد : إن آمنه قد سمعت صوتا يَأمُرُها أن تُطْلِق على ابنها اسم (أحمد) وتُوجد نظريَّة تقول: إن رجلا عربيًّا مسيحيًّا يتحدث اليُونانيَة أشار على آمنَة بذلك لكي يتواءم اسم مُحَمَّد مَعَ الإنجيل، وفيه على لسان الْمسيح لأتباعه:(إذا لم أتركم لن يأتي (الْبيريكليتوس) إليكم، لكن إذا تركتكم سوف يبعث إليكم، وبمجيئه سوف يفرض على الْعالَم الْعدل والْحِكمَة) * ومعنى كلمَة (الْبيريكليتوس) اليُونَانيَّة أحمد أو مُحَمَّد أو محمود ، وبالطَّبع اعترض الْكثير من الْمسيحيِّين على هذه التّرجمَة وقالوا: إن الْمسيح تفوَّه بكلمَة مختلفَة وإن الْكَلِمَة نُقِلت خطأ وإن الإنجيل لم يتنبأ قطُّ بمجيء مُحَمَّد . ومن جهَة أخرى قال أحد صحابَة مُحَمَّد "الشَّاعر حسَّان بن ثابت" كنت فِي السَّابعَة أو الثَّامنَة من عمري عندما سمعت فِي شوارع الْمدينَة رجلا يهوديا يصرخ بأعلى صوت مُنادِيا رفاقَه فِي الدِّين، وعندما تجمَّعوا كلُّهم قال لهم: فِي هذه الليلَة بَزَغ نَجْمُ (أحمد) وهو نبأ مَوْلِده. وفِي سِنِّ السَّادسَة فقَدَ مُحَمَّد والدته أثناء عودتها من رحلَة إِلَى الْمدينَة ، وانتقل مُحَمَّد ليعيش مَعَ جدِّه عبد الْمطلب الَّذِي تُوُفِّي بعدها بعامين . ومع أبي طالِب سافر مُحَمَّد إِلَى سوريا فِي عامه الثَّانِي عشر على رأس قافِلَة تجاريَّة، وعند وصولهم إِلَى جنوب دمشق توقَّفُوا وكانت هذه الْمنطقَة مَقَرَّ وقوف الْكثير من الْقوافل ومركزًا للكثير من الْمسيحيين والْتَقى مُحَمَّد براهب مسيحي اسمه (بحيرى) وهذا اللِّقَاء مذكور فِي الْقرآن فِي سورَة الْمائدَة * وتحكي الْمجلَة

---

* – يقصد هُنَا ما جاء فِي إنجيل "برنابا" الَّذِي لم تعترف به الْكنيسَة ؟!

– لم أجد فِي تفاسير الْقرآن ما يشير لهذا الْمعنى، ولكن وجدت إشارات غير مباشرة بالسورة آية: ٤٧،٥٩،٨٢

بعد ذَلِكَ أن بحيرى طلب من مُحَمَّد الرُّجوع إِلَى مَكَّة، ثم قام بفحص ظهره ووجد دليلا أَقْنَعَه بنبوَّة مُحَمَّد فقال الرَّاهب لأبى طالْب..(ارجع إِلَى بلدك واحرص على هَذَا الصبي من اليهود فوالله إن رأوه سوف يلاحظون ما لاحظته أنا ويضرُّونه ضررا بالِغًا ..) ومن هذه النُّقْطَة يَتَّضح أن صلَة مُحَمَّد بالْمَسِيحِيَّة بدأت مُبكِّرًا .؟!تعوَّد مُحَمَّد على عادَة جديدَة وهِيَ ذهابه كثيرًا إِلَى غار حِراء الَّذِي يُوجَد على بُعد عدَّة كيلو مترات من شمال شرق مَكَّة، حيث كان يتأمَّل "يتحنَّث" ويتعبَّد وتَصِف الْمجلَّة أيضًا كيف نزل على سيِّدنا مُحَمَّد – صلى الله عليه وسلم– الْوحي. فتقول : وفِي يوم تمَّ تحديده على أنه يوم ١٩ مارس عام ٦١٠ م جاء إِلَى مُحَمَّد الْقدَرُ الْمكتوب، ونزل عليه الْوَحْي الإلهي. حدَّث هو بذلك فقال: فِي ليلَة من الليالي الَّتِي كنت أقضيها فِي غار حِرَاء جاء إِلَيَّ جبريل ومعه كلام مكتوب وقال لِي: اقرأ ..ومن هُنَا وُلد الْقرآن، وقد طلب الْقرآن من مُحَمَّد الهدوء فِي تصرفاته والْحفاظ على حكمته وعدم التّ ّعجُّل فِي قراءَة الْقرآن . من عام ٦١٠ م حتَّى ٦١٣ م كان مُحَمَّد رجلا يكتنفه الْغموض ولم يشكَّ أحد أنه قريبًا سيقلب موازين مَكَّة تماما وببطء كَوَّن مُحَمَّد دائرَة تكوَّنت من أربعين مُسلما تبعوا دينه الْجديد . مُحَمَّد أراد إعادَة تشكيل نظرَة مَكَّة إِلَى الله، وتوضيح أعماق الإيمان بالله وضرورَة وضع ذَلِكَ الإيمان فِي إطار فعلي فِي (الْحياَة الْعَمَلِيَّة). ويقول (تور اندري) لقد أكَّد الْمسيح رسالَة موسى أمَّا مُحَمَّدٌ فقد أكَّد رسالَتَي اليهود والْمسيحيِّين معًا .ولكن كيف يمكن إيجاد الصِّلَة الأصليَة بين قوم الْعرب وقصص الإنجيل ؟ عبقريَة مُحَمَّد تكمن فِي هذه النُّقطَة بالذَّات فسيِّدُنا إبراهيم هو الاسم الَّذِي يدل على هذه الصلَة؛ فقد أخبر الله مُحَمَّدا بالْحلقَة الْمفقودَة عندما أنزل عليه سورَة الْبقرَة. فبالتّالي لم يكن سيدنا إبراهيم

يهوديا، بل كان حنيفا أي من أوَّل النَّاس الَّذِين اعتقدوا فِي وُجُود إله واحد لا إله إلا هو، أي من أوائل الْمسلمين. وزيادَة على ذَلِكَ كان إبْرَاهِيم والد سيدنا إسْحَاق أبا قوم اليهود. وهو أيضًا والد إسْماعيل من جد أقوام الْعرب فبالتَّالي يُمثِّل مُحَمَّد صلَة فوريَّة بين إبْرَاهِيم والعرب. ولكن لله أسبابه فِي إعطاء كل قوم تعاليم تختلف عن غيرهم من الْقوم، فمُهِمَّة مُحَمَّد الأساسيَّة كانت تتمثل فِي إعطاء الْعرب إرشادا وتعاليم يتَّبِعونها !! ولهذا السبب بعث الله بآياته لمحَمَّد باللُّغَة الْعربيَّة، ولغَة عربيَة نقيَّة وفصيحَة. في الْفترَة من يونيو إلَى سبتمبر عام ٦٢٢ قام حوالي سبعون مسلم بالرحيل عن مَكَّة متوجِّهون إلَى الْمدينَة ووصل مُحَمَّد أخيرًا فيما يعرف "بحادث الهِجرَة" ففي يوم ٢٢ سبتمبر عام ٦٢٢ م توجَّه مُحَمَّد إلَى الْمدينَة ومعه صديقُهُ وسَاعِدُه الأيمن (أبو بكر الصِّدِّيق) فِي رحلَة بِهَا الْكثير من الْمَخاطر ووصل مُحَمَّد. وبدأت أعظم مرحلَة من تاريخ الإسلام مرحلَة الهجرَة، فمنذ ذَلِكَ اليوم عام ٦٢٢ بدأ نظام الشُّهور الهجريَّة الَّذِي يتبعه الْمسلمون . وقد حاول مُحَمَّد إرساء علاقات طيِّبَة مَعَ اليهود والتَّقرب إليهم لكن اليهود لم يُعطوه الْفُرصَة فظلَّ مُحَمَّد على علاقاته الطَّيبَة مَعَ الْمسيحيين الَّذِين كانوا يمقُتون اليهود ويتَّهمونهم بأنهم قتلوا الْمسيح. لكن الَّذِي يظن أن مُحَمَّدا كان يحيا فِي غِنا ونَعِيم مُخْطئ فهو وأتباعه كان عليهم الْعمل جاهدين لتَوْفير سُبُل الْعَيْش فيُقَال أثناء وجود الْمسلمين فِي الْمدينَة كان علي بن أبي طالِب يحمل الْماء للمسلمين ويحصل على ثمرَة واحدَة من الْبلح على كل دلو من الْمياه يأتي به . وفِي عام ٦٢٧ فِي الْعام السَّابع من الهجرَة أصبحت الْمدينَة دولَة لها وضعها ووزنها ومن هُنَا بدأ الْمسلمون فِي اتِّباع التّعاليم الْعَمَلِيَّة للقرآن وتطبيقها على حياتهم لِتُساعدهم فِي حياَة ناجحَة .. وهنا وُلِدَ الْمجتمع

الإسْلامي (الأُمَّة) وبتحقيق مُحَمَّد للمكانَة والسُّلطَة فِي الْمدينَة لم يبق أمامَه سِوَى تحقيق ذَلِكَ فِي مَكَّة، ففي مارس عام ٦٢٨ قرر مُحَمَّد التّوجُّه مَعَ الْمسلمين إِلَى مَكَّة فِي موسم الْحج لزيارَة الْكعبَة لكن الْقرشيين منعوه من دخول مَكَّة وطالَبوه بالتّوقف والعسكرَة فِي الشّمال فِي الْحُديبيَة وهنا حدث صُلح بين الْمسلمين والقريشيين سمي (صُلح الْحُديبيَة) نَصَّ على : ألا يدخل مُحَمَّد مَكَّة هذه الْمرَّة بينما يستطيع الْعوْدَة فِي الْعام الْقادم فِي مقابل إيقاف الْمَعارك بين الْمسلمين ومكَّة لِمُدَّة عشرَة أعْوَام وقد عدَّل الْقُرَيْشِيّون (أهل محمد) فِي الْمعاهدَة فشطبوا النَّص على نبوَّة محمد فيها !! وفي يوم ١١ يناير ٦٣٠ م دخل محمد إِلَى مكَّة فِي سلام، وبعد حصوله على ولاء أهل مكَة توجه مرَّة أخرى إِلَى الْمدينَة، وبعد أن تأكد محمد من أمن الْمنطقَة للمسلمين، عاد محمد مرَة أخرى إِلَى مكَة من أجل الْحاج وهو ركن مكمل فِي دينِه وألقى (خطبَة الْوداع) فِي مارس ٦٣٢ م، وبعودته للمدينَة أصاب محمدا الْمرض، ومكث فِي بيت عائشَة الَّتِي كانت أحب زوجاته إِلَى قلبه، وفي يوم ٨ يونيو عام ٦٣٢ م انتقلت روح محمد للرفيق الأعلى

* انتهت الزيارَة، وفي الْباص انفجر نساء الْمجموعة فِي حنق ويأس ودموع، سمعن أكثر، ورأين أوضح، وتألَّمن أعمق. فالعلاج الْكيماوي يضعف النَّظر، ويؤثر بشدَّة على وظائف الْكبد، وكان موضوع فقد الإخصاب الأكثر تأثيرا!

زوجتي: بعد اللي شفته لسه حتدخن؟!.. ارمي الزفتة دي. كانت تقصد السيجارَة .

---

* * * * * * كل المقتطفات من مجلة (لوبوان) الفرنسية – مترجم بدقة كما نشر، فليس في الأمر تطرف، أو خيال روائي. * * * * * *

الفصل الرابع:

– أتريد قهوَة؟

يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة. . أنا. . أنا. . أنا أهوى

يأتي الصوت فيحتال عليّ. . أهو من "زبيدَة" الْغائبَة. أم هو صوت زوجتي؟ يخذلني صوتي فلا يخرج بالرد. . وتأتي الذكريات

–١

[أصْبَحْتُ أمام المكان الكأس المقدسة حديقة (Holy Grail) بجنوب فرنسا رصد بعض المؤرخين والكتاب حياة المجدلية وكتبت" لين بينكت" في كتابها"مريم المجدلية: (أن السيدة رحلت إلى فرنسا،التي كانت تسمى بلاد الغال وقتها،ولا يعرف الكثير عن فترة وجود المجدلية في فرنسا، وان كانت الحكايات المتواترةعنها أنها وضعت هناك ابنتها من المسيح ولكن الحقائق المؤكدة تقول انه بحلول القرن الثاني عشر والثالث العشر الميلاد كما رصدت(سوزان هيسكنز) في مؤلفها حول المجدلية [زيادات بشكل ملحوظ فى أعداد الحجاج الذاهبين لزيارة ضريح مريم المجدلية في (فيزالى) بجنوب فرنسا،] والمثير أن العديد من الرسائل البابوية من الفاتيكان والتي أصدرها الباباوات لوشيوس الثالث، وأوربان الثالث، وكليمنت الثالث، قد أكدت جميعها بشكل رسمي، أن جسد المجدلية مدفون بالفعل في فيزالى، إلا أن احد منهم لم يفسر على الإطلاق كيف استقرت جثة المجدلية هناك؟!)

ا زعج وحدتى شاب وفتاة يعرضا بيع رحلات قصيرة سياحية حول المنطقة منها المكان المتخيل(قبر مريم المجدالية)،وحين يأسا منى..عرضا بيع كتب فى اللاهوت القبطى،ومما عرضا كان مااحتاجة بالضبط، اشتريت الرواية *the Davinci codeo* رواية (دان براون) التى تقارب الـ ٥٠٠ صفحة كاتبها امريكي كان متوسط الشهرة ليصبح بعدها على راس قائمة

أهم رجال ٢٠٠٥،هذه الرواية تتحدث في (تفاصيل خاصة جدا في الديانة المسيحية يعتبرها المسيحيون مسلمات بديهية لا يجوز المساس بها أو مناقشته) ..

(تبدأ الرواية بـ "جاك سونيير" مدير متحف اللوفر،وهو يجرى داخل المتحف هاربا من شخص يحاول قتله،وهو ينجح في هذا بالفعل،إذ يطلق رصاصة تخترق معدة جاك سونيير ثم يتركه يصارع الموت وكل ما أمامه هو ١٥ دقيقة لينقل السر قبل موته،أي سر؟! يحقق في القضية النقيب"بيزوفاش" الذى يقرر بدوره الاستعانة ببطل الرواية "روبرت لانجدون"،أستاذ علم الرموز الدينية في جامعة هارفارد ـ اتعجب من هذة الوظيفة وهذا التخصص؟! والواقع أن هناك سببين لاستدعائه أولهما : انه كان على موعد مع القتيل. وثانيهما: وهو وضع جثة سونيير الذي عثروا عليه عاريا ممددا بصورة عجيبة على نجمة خماسية رسمها على الأرض؟. وبعد كثير من الاستنتاجات المعقدة والتي تساهم في حلها " صوفي نوفو" حفيدة سونيير والتي تعمل كخبيرة حل شفرات نفهم جميعا أن جاك سونيير كان القائد السري الحالي لجماعة تدعى"سيون" التي فقدت هذه الليلة أربعة من قادتها كلهم ماتوا موتاً فجائياً فى حوادث مدبرة ؟ لقد قرر تصفية قادة جمعية "سيون" ليحصل منهم على سر الكأس المقدسة وفى هذه الأجواء البوليسية،ومع أحداث الرواية تتضح التفاصيل أكثر وأكثر.. أن جاك سونيير يحمل فعلا مفتاح الطريق إلى الكأس المقدسة، لكنه استعان بشفرات دافنشي العجيبة ليحميه وهى شفرات لا يقدر على حلها سوى[صوفي وروبرت لانجدون] مجتمعين وكلما انتقلنا من نقطة إلى نقطة،وجدنا شفرات،العبقري"دافنشي" تنتظرنا بغموضها وسخريتها الرهيبة بعقولنا على لسان(لانجدون) نعرف بعض الأسرار الطريفة ومنها ما يؤكد أن دافنشي الرسام نفسه كان عضوا نشيطاً في جماعة" سيون" وانه كان من(عبدة الإله الأنثى ويستخدم لوحة الموناليزا فائقة الشهرة لإثبات نظريته. بداية من اسمها ذاته والذي هو مزيج خبيث لكلمتي" آمون" و" إيزيس"، أي المزج بين الإله الذكروالأنثى، والمساواة بينهما في الأهمية) على عكس ما تؤمن به بعض

المعتقدات الكاثوليكية،التي تقلل من أهمية الأنثى وتتهمها أنها اصل كل البلاء.لقد كان دافنشي عبقريا، وكانت موهبته في التشفيرلاحد لها،لهذا سخر موهبته لحماية أسرارجمعية سيون، ولهذا استعان بها قادة الجمعة من بعده ولهذا حملت الرواية هذا الاسم الغريب (شفرة أو لغز دافنشى) لكن هذا ليس كل شيء إن الكأس المقدسة هي امرأة؟! وتبدأ روعة الرواية بالخلط بين الحقيقى والمتخيل:(لقد قلت أن لديك صورة للمرأة التي ادعيت أنها هي الكأس المقدسة،المسيح بذات نفسه هو الذي أدعي ذلك؟! وهناك كانت نسخة من لوحة العشاء الأخير بطول ثمانية أقدام معلقة علي الحائط لقد كانت هذه الصورة هي نفس الصورة التي كانت صوفي تنظر إليها بالضبط " ها هي!". اقتربت صوفي من اللوحة بتردد وأخذت تتفحص الأشكال الثلاثة عشر. كان يسوع المسيح في الوسط وستة من أتباعه علي يساره وستة علي يمينه" إنهم جميعاً رجال قال تيبينج: ماذا عن الشخص الذي يجلس في مكان الشرف علي يمين المسيح؟ دققت صوفي بالشخص الذي كان إلى يمين المسيح مباشرة. وركزت نظرها عليه. وعندما تفحصت وجه الشخص وجسده، أحست بموجة عارمة من الذهول تسري في جسدها. كان ذلك الشخص ذا شعر احمر كثيف ويدين ناعمتين مطويتين وصدر صغير. لقد كان الشخص دون أي شك. امرأة. كانت المرأة الجالسة علي يمين المسيح صبية صغيرة في السن ويبدو عليها الورع وذات وجه يتسم بالرزانة والحشمة وشعر احمر كثيف ويدين مطويتين بطمأنينة، هذه هي المرأة التي بأمكانها ببساطة قلب الكنيسة رأساً علي عقب؟ من هي هذه المرأة؟ سألت صوفي" تلك يا عزيزتي "أجابها تيبينج" هي مريم المجدلية ..التفتت صوفي" الزانية؟".أخذ(تيبينج) نفساً قصيراً، كما لو إن الكلمة جرحته في الصميم ". لم تكن المجدلية كذلك قط. وتلك الفكرة الخاطئة هي الإرث الذي خلفته الحملة القذرة التي أطلقتها الكنيسة الأولي فقد كانت الكنيسة بحاجة لتشويه سمعة مريم المجدلية وذلك للتغطية على سرها الخطير وهو دورها ككأس مقدسة."كما

ذكرت"،أوضح تيبينج ،" فأن الكنيسة كانت بحاجة لإقناع العالم بأن النبي الفاني يسوع المسيح كان كائناً إلهياً. ولهذا فان أي انجيل من الأناجيل كان يتضمن في طياته وصفاً لمظاهر إنسانية فانية من حياة المسيح، كان يجب حذفه من الإنجيل الذي جمع في عهد قسطنطين، لكن من سوء حظ المحررين الأوائل، كان هناك موضوع بشري مزعج يتكرر في كل الأناجيل، وهو موضوع مريم المجدلية. صمت لحظة وبكلمات اصح، واوضح فتح موضوع زواجها من يسوع المسيح ؟عفواً ، ماذا قلت؟" نظرت صوفي إلى لانجدون ثم نظرت إلى تيبينج ثانية." أن ذلك كله مذكور في السجلات التاريخية، لم يكن ذلك كلامي أنا "، قال تيبينج، " وكان دافنشي علي علم تام بهذه الحقيقة". ولوحة العشاء الأخير هي صرخة للعالم للفت نظرهم إلى أن يسوع والمجدلية كانا زوجين"..حدقت صوفي من جديد في اللوحة الجدارية." لاحظي أن يسوع والمجدلية يلبسان ثياباً متماثلة تماماً لكن بألوان متعاكسة أشار تيبينج إلى الشخصين اللذين كانا في وسط اللوحة الجدارية" كانت صوفي تكاد لا تصدق عينيها. هذا صحيح، لقد كانت ثيابهما متعاكسة في اللون؛ فيسوع كان يرتدي ثوباً أحمر وفوقه عباءة زرقاء في حين أن مريم المجدلية كانت ترتدي ثوباً ازرق وفوقه حمراء، ين ويانج.؟!)

تنقلنى الرواية بمتعة الأكتشاف بين التصديق والخيال إلى ما هو أكثر غرابة [قال تيبينج لاحظي أن يسوع وعروسه يبدوان وكأنهما متصلان عند الورك، ثم يبتعدان عن بعضهما في الطرف العلوي وكأنهما بهذه الوضيعة يرسمان شكلاً واضحاً إلا وهو الكأس رأت صوفي شكل v الواضح تماماً في مركز اللوحة بالضبط قبل حتى أن يمرر قليل كناية عن الكأس المقدسة، القدح رحم الأنثى."وأخيراً قال تيبينج "إذا نظرت إلى المسيح والمجدلية بأعتبارهما عناصر تركيبية لا علي أنهما شخصان، ستجدين أنهما يكونان شكلاً أخر أكثر وضوحاً ". صمت لحظة"وهو حرف من حروف رؤيته في اللوحة.كانت الخطوط التي تشكل حرف M عملاقة دقيقة إلى حد لا يترك مجالاً للشك، وكانت ساطعة في مركز اللوحة بشكل يعمي الأبصار تصرخ بصوت عال لتلفت

نظر المشاهد إليها."ألا تعتقدين أنها شديدة الوضوح والتناسق لدرجة أنها لا يمكن أن تكون هناك بمحض الصدفة؟ " سألها تيبينج.لكن صوفي كانت مذهولة ". لكن ما هو القصد وراء رسمها هنا؟ ".هز تيبينج كتفيه وأجابها ". إذا سألت الباحثين الذين يقولون بنظرية المؤامرة فسيجيبونك بأن ذلك الحرف يرمز إلى كلمة ماتريمونيو– زواج – أو مريم المجدلية. ولكي أصدقك القول، لا احد يعرف الإجابة علي ذلك السؤال بشكل أكيد. لكن الحقيقة الوحيدة المؤكدة هي أن وجود حرف M بشكل مخفي في تلك اللوحة،لم يكن عن طريق الخطأ، هذا بالإضافة إلى انه كانت هناك أعمال كثيرة جداً ذات صلة بالكأس المقدسة أحتوت علي حرف M بشكل مخفي سواء كان ذلك كعلامة مائية أو بشكل مخبأ تحت اللوحات أو كإشارات مبتكرة لا تظهر للناظر إلا إذا دقق فيها. إلا أن أوضح M بلا منازع هي تلك التي تزين مذبح كنيسة سيدة باريس في لندن، والتي صممت علي يد زعيم كبير سابق لأخوية سيون، وهو جان كوكتو ".فكرت صوفي للحظات في المعلومات التي سمعتها لتوها " إنني اعترف أن حروف M المخفية تثير الفضول والدهشة، إلا انه من غير المعقول أن يدعي أي احد أن ذلك يعد دليلاً دامغاً علي زواج يسوع بالمجدلية "." لأ لأ نهائياً "، قال تيبينج وذهب نحو الطاولات المليئة بالكتب.." كما قلت لك سابقاً ،أن زواج يسوع ومريم المجدلية هو جزء من حقيقة وسجلات تاريخية"واخذ ينبش في مجموعة الكتب التي كانت بين يديه ".علاوة علي أن يسوع كرجل متزوج هو آمر منطقي أكثر من فكرتنا الإنجيلية التقليدية التي تقول أنه كان عازباً " لماذا؟" سألت صوفي: لان يسوع كان يهودياً، قال لانجدون وقد استلم دفة الحديث عن تيبينج الذي كان يبحث عن كتاب يريده لصوفي وقد كان العرف الاجتماعي في ذلك العصر يحرم تماماً علي الرجل اليهودي أن يكون أعزباً، كما أن الامتناع عن الزواج كان ذنباً يعاقب عليه بحسب التقاليد اليهودية ، وكان واجب الأب اليهودي أن يجد زوجة مناسبة لابنه، فلو كان المسيح أعزباً ، لكان ذلك قد ذكر في احد الأناجيل وتم تفسير حالة عدم زواجه غير المألوفة علي الإطلاق عثر تيبينج علي كتاب كبير وسحبه نحوه من فوق الطاولة. كانت

هذه النسخة من الكتاب: الأناجيل الغنوسية. فتحه تيبينج بحماس، وانضم إليه لانجدون وصوفي. لاحظت صوفي أن الكتاب كان يضم بين دفتيه صوراً بدت كأنها مقاطع مكبرة لوثائق قديمة أتضح أنها أوراق بردي ممزقة تحتوي علي نص مكتوب بخط اليد. لم تتمكن من التعرف علي اللغة القديمة، إلا أن الصفحات المقابلة حملت ترجمة مطبوعة لتلك النصوص." هذه صوراً للفائف البردي التي عثر عليها في واحة نجع حمادي وفي البحر الميت؟!"]

توقفت عن القراءة فهناك ابجديات كثيرة لا أفهمها؟! فماهى نصوص نجع حمادى ؟ وماذا فى لفائف البحر الميت؟! ومامعنى الأناجيل الغنوسية....؟! إنكسرت أشعَّةُ الضوء .. كنت توقفت بالرواية عند : (قال تيبينج: أنها السجلات المسيحية الأولي، والتي لا تتوافق معلوماتها للأسف مع الأناجيل التي جمع منها انجيل قسطنطين،قلب صفحات الكتاب حتى وصل إلى منتصفه ثم أشار إلى احد المقاطع " أن انجيل فيليب هو دائماً أفضل واحد نبدأ به ".قرأت (صوفي)المقطع الذي أشار إليه ورفيقة المخلص هي مريم المجدلية، أحبها المسيح أكثر من كل التلميذين واعتادأن يقبلها في معظم الأحيان وقد تضايق باقي التلميذين من ذلك وعبروا عن استيائهم. وقالوا آه ،" لماذا تحبها أكثر منا؟".لقد فاجأت تلك الكلمات صوفي، إلا أنها لم تكن تبدو مقنعة." أنها لم تأت علي ذكر الزواج نهائياً "بالعكس" قال تيبينج بالفرنسية ثم ابتسم مشيراً إلى السطر الأول ". إذا سألت أي عالم باللغة الآرامية فسيقول لك أن كلمة رفيقة في تلك الأيام كانت تعني حرفياً الزوجة)

شعرت بِهَا المغربية السمراء واقفَة بجسدها الْفارع الْممتلئ بلا ترهل، رائحتها فِي عبق الْمكان،خمرية متوهجة كانت تعرف أني أُعْجِبتُ بِهَا سَعَيْتُ إليها.. فرفضت أن أكون عاشقًا مهزوما! جذبْتني فِي حركَة عُهْر حقيقيَّة؟!

قالت: دعك من.. الأهوت، وتمتع بالناسوت، اللَّيْلَة.. استَقْبِلنِي، وسأريك كيف يضيء عقدى الحجرى فى الظلام؟!

قلت : أنا متزوج ؟!.

قالت: استلذّ مغامرَةَ الْمرأَة الشّرعيَّة، والْمرأَة الْمرغوبَة؟!!

قلت: لا يفعلها إلا يس أبن السيد عبد الجواد فى ثلاثية نجيب محفوظ شرِبْنا فِي نخب (يس) عبد الْجواد،راجعنا الْمشهد،معًا...فهي قارئَة جيدَة لما يكتبه محفوظ،والغيطانى،واللبنانيات من"الأديبات النساء" هي،تستعيد الرِّوَايَة .وأناأستلذ الْفيلم ـ (ففى بين القصرين) :

(أخذ عبد الْمنعم إبراهيم"يس"، ناديَة لطفي"زَنُّوبَة الْعالْمَة"،وهو سكران طينَة فِي حنطور ودخل بِهَا على زوجته فِي منزل الزوجيَّة – لم يجد مكانًا آخر؟ـ قِلَّة الْحيلَة– استيقظت زوجته ؟! ترك الزوجَة والعشيقَة معًا فِي عراك !!) ...

قالت: عندي عزف بالفرنساوي على نفس الْمنوال ولكنه حقيقَة لا روايَة خياليَّة ،انه،ما فِي مذكرات (برجريت باردو) قارورة السينما الفرنسية أو"ب.ب" كما اشتُهرت كم هو غريب عالَم نجمات السِّينِمَا!!) هو فضائحها مَعَ الرِّجَال ،فبعد طلاقها من زوجها فاديم غرقت فِي علاقات،مَعَ الرِّجَال فوقعت فِي حُبِّ (جان لوي ترينتيان) الذي كان يشاركها بطولَة فيلم(وخلق الله الْمرأَة) بل إنه،انتقل للحياَة معها وترك زوجته، ثم تعرفت على الْمُغَني (جيلبرت بيكو) وشاركتْه استعراض رأس السَّنَة وتعترف بسهولَة أن قلبها وفراشها قد جمع بين الاثنين!! وأدى ذَلِكَ إِلَى هجر(جان لوي) لها بعد أن ضبطها مُتَلبِّسَة مَعَ الآخر!! وحينما عرفت أن الْمُغَني بيكو يحب عَلَيْهَا أخرى جُنَّ جنونُها، وانتحرت ولكنَّها أُنْقِذت بأُعْجوبَة، ولم تتعلم مِمَّا حدث لها،فارتبطت بالْمُغَنِّي (ساشا) لتغيظ بيكون، وكان ساشا فِي بداياته، فاتَّخذها سُلمًا لِيَصِل للشُّهرَة؟! ولكنَّها كعادتها فِي الْجمع بين الرِّجَال والسقوط فِي حب أبطال الأفلام الَّتِي تشارك فيها وقعت فِي حب (جان شاربيه) وبنفس الطريقَة اكتُشِفَت هذه الْعلاقَة الْجديدَة؟! كان شوقها فى آخره..قامت فجأه.واشارت.قم بنا؟! سألت إلى اين؟ بصراحة حيرتنى اجابت: حين لا تجد المرأة

رجلا ضارب الدنيا صرمة مثل يس،تقوم بنفس الدور..أنا ادعوك للعشاء عندى..قامت وسحبتنى وأنا منوم بجرائتها؟!]

-٢

وضعت زوجتي الْقهوَة الْجاهزَة فِي فنجان، ووضعت جواره ملعقَة وقطعَة سكر، تركتْه أمامي. أما "زبيدَة" الْمَغْرِبية فهِيَ ترفض هَذَا الإيجاز، صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. بل إنها غيرت قميصها- فجاءت بقميص نوم أصفر؟! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبن..قالت: قهوتي مُرَّة يمكن أن تتناول معها التّمر. وإذا شربت الْماء رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد، إنها امرأة تفرد ما عندها. . تلبس كل ما عندها. . وتقول كل ما تعرف. زوجتي تلف وتدور بمنزلنا الصَّغِير "أستوديو" كالفراشَة حائمَة على النَّور، تراود الصَّغِيرعلى كوب اللبن، وتغسل الأواني وتكلمني من باب التّسليَة.: نظرية جديدَة تتحدث عنها باريس، الْمولهة بالفراعنَة تقول: "إن رُفَات سيدنا يوسف لم تغادر مصر وإنه دفن بِهَا ولا تزال مومياه فِي الدور الأول من الْمتحف الْمصري بميدان التّحرير وإنها لم تخرج مَعَ موسى وقومه، ولكن الْمومياء وضعت وحفظت تحت اسم "يويا" وهو الاسم الذي عرف به فِي حياته مشابه لاسم "يوسف". اهتمت زوجتي بالأمر بحكم دراستها للآثار – ولأني لم أسمع منها شيء عن الْفراعنَة طول معاشرتنا فقد أرجعت ذَلِكَ للفراغ. وتستمر وقد بدأت تقليب الطعام وتقطيع الْبصل.

: يويا هو يوسف وهو جد أخناتون، عالم النَّفس اليهودي فرويد اعترف فِي كتابه "موسى والتّوحيد" أن الديانَة اليهودية منقولَة عن عبادَة أخناتون، وأن اليهود حملوا معهم عندما خرجوا من مصر تعاليم ديانَة أخناتون!! أتحب الْكارفس فِي السلطَة؟

عاد النَّبي يوسف ليطل بسيرته – اللهم اجعله خيرا- ؟! فحاولت أن أغير الْموضوع. .

– فقدت ٨ درجات من درجات الْمواظبَة والْحضور، وعبثا حاولت حل الأمر، فرغم حقي فِي غياب ٥ أيام خلال التّرم الثاني إلا أنهم تمسكوا بأني لم أخطر بالانقطاع مسبقا.

– ارمي وراء ظهرك. . كان احتفال جميل،قل "اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضرعن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجزعن ذَلِكَ من حيث لا نعلم بما لا نعلم". . وبعدين يا على مش حنروح الْبارك إلا لما تخلص اللبن.

– وزادت الطينَة بلَّة. يا ست رابعَة الْعدويَّة؟! حين وزعتِ الْبحوث .. وأنا غائب فلم يبق إلا بحث وقع فِي نصيبي قصرا وبالغصب عنوانه "النية الإجرامية فِي جرائم الاغتيال السياسي" لا أعرف لَه أول من آخر.

ضحكت.مالت برأسها وقلقلت الْحروف فِي النَّطق ونظرت لأعلى تستفتي السماء. . بل استشهدت بأقوال سهل بن عبد الله الصوفي الْورع ،" من ترك التّدبير فهو فِي راحَة، وقال سهل بن عبدالله:ذروا التّدبير والاختيار فإنهما يكدران على النَّاس عيشهم. وقيل: من لم يدبر دُبِّرَ له." استمرت بين الْكلام. . وتقليب الطعام. ..

قالت:تعرف يا زوجي الْعزيز.يوسف أو يويا أنجب بنتا وولدا اسمه آي، وقد تزوجت ابنَة يويا أو سيدنا يوسف، أحد فراعنَة مصر وهو "أمنحتب الثالث" وقد أنجبت له ثلاثَة أبناء هم: أمنحتب الرَّابِع وأخناتون، وسمنخرع، الذين تولوا حكم مصر. أما الابن فهو الْملك "آي" الذي حكم ٤ سنوات وعلى هَذَا الأساس فإن يوسف يعتبر جدا لأخناتون والجد الأكبر للملك توت عنخ آمون.

قلت:متى كان سيدنا يوسف عليه السلام فِي مصر؟

قالت:بالضبط لا أحد يعرف ولكن الْعلماء لهم اجتهادات جيولوجية فمن بين هذه الاجتهادات "إن الْبركان الذي انفجر فجأَة فِي جزيرَة سانتورتني اليونانية سنَة ١٦٢٨ قبل الْميلاد، أدى إِلَى انتشار سحب الْكبريت فِي السماء على ارتفاع ٢٠٠ متر فغطى

ما بين تركيا ودلتا مصر، وأدى ذَلِكَ إِلَى الْجفاف وإلى الْبرودَة الشّديدَة فماتت النَّباتات وجاع النَّاس فِي الْعصور الْقديمَة". قبل ذَلِكَ بقليل تنبأ يوسف عليه السلام لملك مصر بأن سنوات من الْجفاف والجوع سوف تسود مصر، ولذلك نصح الْملك بأن يقيم صوامع الْغلال حتى لا يجوع النَّاس فِي سنوات الْجفاف وفي هذه السنوات جاء إخوة يوسف إِلَى مصر، ومعنى ذَلِكَ أن يوسف عليه السلام ربما عاش فيما بين ١٩٠٠ قبل الْميلاد و ١٣٥٠ قبل الْميلاد، فِي عصر الْملك "خبان" أقوى ملوك الهكسوس.

– الْقول بأن ذَلِكَ نظرية يحتاج لإثبات علمي؟

– الرُّجوع لعلم الْموميات، وأوجه الاختلاف بين "يويا" سيدنا يوسف والفراعنَة فِي "النظرية" تتركز فيما يلي: لم يعرف اسم يويا بين الْمصريين فهو اسم غريب عنهم. أذناه لا يشبهان أذن الْفراعنَة فلم تثقبا. أنفه معقوف. شفتاه قويتان. فكه بارز. وأخيرا فإن كل ملوك الْفراعنَة عند دفنهم وضعت أيديهم فوق صدورهم أما يوسف – أو يويا – فقد وضع يديه وراحَة كفيه على عنقه.

استشعرت اهتمام حقيقي بالأمر من جانب زوجتي، حينما أوضحت أن النَّظرية تفصح بوضوح عن غايتها، فما دام فكرَة التّوحيد والإله الْواحد الَّتِي نادى بِهَا أخناتون لم تنطلق من فرعون مصري بل تجري فِي هَذَا الْفرعون أيضا دماء اليهود، ولذلك فإن فكرَة التّوحيد تشترك فيها مَعَ مصر، إسرائيل. وهِيَ فكرَة خبيثَة يمكن التّرويج لها مَعَ معاهدَة السلام بين الْبلدين؟! ..ولكني اكتشفت نظرية أخطر: إن زوجتي زكية ويمكن أن تطيل التّركيز وتصل لنتائج ولها فِي الْمداعبَة والتّهريج والتّمثيل– الأمر ليس يسير– وبخَاصَّة أني فِي أهوائي لا أعرف الْحذر وأحيانا أعيش الْحب كغاية فِي ذاته. ألم تكن "زبيدَة" تقول لِي:أحيانا تحسبني امرأة أخرى.امرأة فِي خيالك

–٣

[ما أجمل ما حدث بيننا، ما أجمل الَّذِي لم يحدث، ما أجمل الَّذِي لن يحدث ؟! نحن لا نُشْفى من ذاكرتنا. ففى لحظَة من أَجَلٍّ ما عرف الزَّمن رغم أنها مُعادَة وتحدُث فِي اليوم الْواحد آلاف الْمرَّات، فهِيَ الْمَعاد الَّذِي لا يُمَلّ، وما ينبغي أن يُمَل؛ فهو يَتضمَّن سِرَّ الْوجود الأعظم!]

كانت قد نجحت لجذبى للبن المحوج فى بيتها ..جذبتنى للعسل على شرف رواية سلوى النعيمي "برهان العسل" والغريب انها ترجمت حديثا للفرنسية باكبر عائد مادى لكاتبة،لتسبق نوال السعداوى ونزار قبانى ؟! ووزعت بباريس ١٥ الف نسخة ووضع على الغلاف صورة امرأة عارية فى حالة انتظار بالوضع الفرنسى المعروف فى الجنس فهل الفرنسيون مهتمين بالجنس ولايزالون ؟!

تقول البطلة فى الراوية:(هناك من يستحضر الأرواح، أنا أستحضر الأجساد. لا أعرف روحي ولا أرواح الآخرين. أعرف جسدي وجسدهم) رواية النعيمي لا تخفي تبنّيها لكل التجارب التي تعيشها بطلة روايتها، بل إنّ هذه البطلة توحي بأنها نسخة للمؤلفة

تقول حبيبتى المغربية الخمرية: هى قصتها ؟! اشم ذلك فى رائحة حروفها!

وما يهمنا هو أن سلوى النعيمي ترفع شعار نبش المكبوت والمسكوت عنه، وتنتقد ما تسميه "مجتمع التُقية"العربي الذي تقول إنه لم يكتشف بعد "أنّه لم يبق من الثالوث المحرم إلا اثنان: الدين والسياسة.. سقط الجنس من منخل الرقابة، أو إنّها وسّعت فتحاته، بل انها ترى ان العربية لغة جنس تبللها ؟! فى مواجهة ادباء الفرانكوفونية الذين رغم عروبتهم يكتبون بالفرنسية تحت حجة ان العربية لا تعرف كيف يكون الجنس ؟! يدفعها إلى رواية حكايتها مع «المفكر» الذي التقته في أحد المؤتمرات، والذي يحتل المساحة الأوسع في حياتها وجسدها.

تضحك المغربية وتقول:المفكر حقيقة ..فلسلوى نعيمى نص فى التسعينات "كتاب الأسرار" تتحدث فيه عن المفكر تحت عنوان (قيلواة) وقد قابلته فى مؤتمر عن المرأة ـ كان يراودها عن نفسها بعبارة "مارأيك فى قيلولة؟" فتضحك وتقول نعم ولكن وحدى.. ولكن فى اليوم الأخير بالمؤتمر مدت يدها ،وافسحت له مكاناً بسريرها؟! كانت ترى الرغبة الجسدية معدية ـ فهل لك فى قيلولة؟!

اقول: واين ظهيرة الشمس الحارقة بفرنسا؟فالقيلولة تعبير زمانى عن وقت تكون فيه الشمس عمودية على الأرض،فيهرب الناس من اشعتها الحارقة بالنوم

تقول: اليس تعبير جنسى عن الشوق؟عن شدة حرارة الرغبة؟

[تبدأ الرواية من لقاء البطلة بـ «المفكر» " كان يقول لي النساء نوعان:المرأة الخسة، والمرأة الجمرة، وأنا أسأله بخبث، وهو لا يرد، بل يجذبني الى صدره وأرتمي عليه، ويقبل عيني وشفتي، وأنا أمص ريقه، ويحسس على بطني، وأفتح ساقي، ويدخلني عميقا ليحترق معي، أود أن أساله؟؟ والرجال كم نوعا؟؟ وتنسيني متعتي ولذتي كل الأسئلة".] تقول النعيمي في روايتها " برهان العسل ": ["هناك من يعيش ويموت من دون أن يعرف طريق جسده وأجساد الآخرين.كم تكومت من تفاصيل الظروف كي أكتشف وجود المفكر ويكتشف وجودي، كي أراه ويراني؟كم تكومت من تفاصيل الظروف كي تكون لحظة الكشف الأولى التي قررت كل شيء؟ هذا كله أستطيع الآن أن أحركه في ذهني، حبة حبة كالمسبحة، ولكنني يوم التقيته كنت بعيدة عن إدراك خيطها الذي بدأ يلضم الحكاية، حكايتي؟ الآن، وأنا أعيد قراءة ما أكتب، يخطر لي أنني نسجت للمفكر صورة أسطورية، لا علاقة لها به. صورة تتناسى كل ما يجعل منه هو. قلت له: كن، فكان كما خلقته أنا بكلماتي. هذه الصورة ملكي ولا علاقة له بها. يخطر لي السؤال وأنا أعيد الآن قراءة ما أكتب] حين نبهتها بأنه لا تزال أشياء بيننا..لا يكفي أن يتعرى الجسد للجسد؟! وإنما يجب أن يتعرى الإنسان للإنسان ؟! قالت:اخلع خُفَّيْك فإنَّك بالجسد الْمُدَلَّل تطُوى..(قول قبلت بك عروس فترة وجودى بفرنسا،حلالاً وتمتع بى؟!).. كنت أفضل أن تصدنى ..تمنعنى..لا أن نتورط لم افعل أكثر من التجاوب العاطفى والتحرش الذائد؟!

استغرب حين قالت:الأمام على تمتع بامرأة من بنى فحشل؟!اهبك متعة وصلنى مهرك من خاتمك

قلت فى فكاهة: اتمارسين السحر المغربى،أم تصنعين تعويذةمن حكايات ألف ليلة وليلة

قرأت قوله تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ

مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إن اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)

الْهِمت النَّفْسُ الْفجورَ، فسبحان من أَلهمها فُجُورَها وتقواها. أَيقظت حسي بالعُرِيْ الْمُبْهِج، الفائر، الناعم .كل كُؤوس الْحياَة الْمُتْرعَة بخَمْر الأحزان والأحلام، نشوَة كآبَة سَكِر الْقلب الذي لا يراع ..الْموقف تعدى الْملاطفَة أبداً فِي الْوصول لأحلى أوقات جنونى؟! ماذا بعد الأعمال التّحضيريَة. أَعُدُول أم شروع؟! أَمُمْكِن أن يتراجع رجل الآن؟.. كيف تراجعْتَ يا يوسفُ ؟! كيف أيُّها الصِّدِّيق.. أُقَاوِم حارسي الدَّاخلي؟ ولا شهود على تعذيب سجان؟ أشم رائحة النبي يوسف!

هي: أنت فِي أحضاني، ألم تسمع نجيب محفوظ فِي (السَّرَاب) وهو يقول "أعظم واجب فِي الدنيا أن تلاعب فتاَةً جميلَة تحبها"؟! فلماذا أنت (ظاهرَة مُنَافيَة للطَّبيعَة) أن تسعى لهدف، فإذا أصبح بين يديّكَ تركتة؟ انسبت كيف كنت تطاردنى فى الكلاس؟!وتحضر دروسى وهى مختلفة عن ماتدرس؟! فأنت من سدنة الحكومة تكيل الإتهامات للبشر، أنا إجتماعية حرة تدافع عن البشر،أنت تريد أن تحمى الدولة من ضعف الإنسان ،وأن اطبطب على هذا الضعف واحميه من استبداد الدولة المهين،أنت وثنى أمام تمثال القانون، أن مرتدة عن عبادة وثنك،؟! فالقانون الذى يصنعة بشر، ويعدلة بشر،يجب ان يخالفة البشر؟!

قامت فِي غلالتها الْحمراء الشّفافَة .. تألّقت أنوثَتُها وهكذا نجحت معى المفكرة المغربية.كما نجح من قبل مفكر ذكر فى رواية اسمها" "برهان العسل"..كنت أصل إليه مبلّلة، وأول ما يفعله هو أن يمد إصبعه بين ساقي، يتفقد العسل كما كان يسميه ، يذوقه ويقبّلني ويوغل عميقاً في فمي" مع قرائتنا الرواية و قهوتها المحوجة بالعشق عرفنا أن برهان العسل هو العسل نفسه .

-٤

افيق من شرودى على صوت..

زوجتى: أنا عملت كل حاجَة، وحأخرج مَعَ علي عشان هو ولد شاطر وشرب اللبن،وبابا يقعد يذاكر، تعرف النَّهاردَة يا علي كام فِي الشّهر؟! أنا عارفَة وعلى الله لما نِرجع نلاقي بابي خرج؟!

ارتشفت آخر شفطَة فِي فنجان الْقهوَة الْمُرَّة أيضا!! وقد لاحظت أني شربتُه بمرارته دون سكر على عكس مزاجي! قلبت الْفنجان ولكن من يقرأ الغيب الْمحوّج؟!

بدأتُ أُفكِّر فِي الْبحث بضجر. الاغتيال السياسي يظل بطلا لمعظم الأعمال الرَّوائية. هل يوجد أدب للجريمَة السياسية؟ ! ويظل نداء قيصر الْقديم: (حتى أنت يا بروتس) فِي حاجَة لتفسير؟ !. قال الْمتطرف الإِسْلامِي: نعم لم أعرف نجيب محفوظ، ولم أقرأ له، ولكنه خنجر فِي جسد نظام قبل أن يَكُون غرس خنجرا فِي جسد إنسان !! وقال قبله "مانسون" حينما سأله أتباعه ما فائدَة قتل "شاروت تيت" نجمَة الإغراء فِي هوليود وفي وقت حملها؟ ! قال: لقد حان يوم "هيلتر سكيلتر" وهي كلمَة رمزية تعني بدء جرائم الْقتل انتقاما من الْمجتمع بمعني لا يهم من الْمقتول وإنما الْمهم الأثر نتيجَة الْقتل؟! لأن الْقتل هو الْقتل أمام الْقانون، ولأن الْعدالَة عمياء لا تعرف ألوان الْقتل ولا تهتم ببواعثه، ومن هُنَا كانت أهمية الأدب بالغوص إِلَى معاني هَذَا الْقتل الْفكري والْمعنوي عبر موت إنسان ما. (فالاغتيال ليس قتلا فقط وإنما موقف غير عادي، أن تقتل إنسانا ربما لم تلتق به فِي حياتك، أتقتل الرَّجل أم تقتل فكرته؟ أو هو خنجر فِي جسد نظام قبل أن يَكُون غرس خنجرا فِي جسد إنسان. لا يهم مَن الْمقتول وإنما الْمهم الأثر، نتيجَة قتله) ولكن الأديب يجاوز هذه الاعتبارات كلها ويحدق عبرها، وينسج عَلَيْهَا ويفسر ما حدث بشكل غير مباشر فإذا الذي قاله غاية فِي الدهشَة والغرابَة، يقوله لأكثر من سبب وعلى شفاه أبطاله الْوهميين. ولهذا فقد وجد اتجاه فِي علم الاجتماع الْجنائي وعلم الاجتماع السياسي فِي اعتبار الأدب وثيقَة حياتية تحتاج إِلَى تفسير. وها

أنا أحاول أن أفعل ذَلِكَ. . فهل يروق للأستاذ الْمشرف أنّ أضع الْقانون والأدب فِي زجاجَة واحدَة؟ !

شكسبير فِي رواية (ماكبث) يجعل جنون (ليدي ماكبث) عقابا على تآمرها على اغتيال الْملك (دنكان) ويقول: (عطور بلاد الْعرب كلها "يقصد مصر والشام" لن تطهر رائحَة الدماء من يدها الصَّغِيرَة) ولدينا أمثلَة عربية كثيرَة من تاريخ الاغتيالات، كان اغتيال عثمان ومِن بعده الإمام علي إيذانا بسقوط خلافَة الرَّاشدين وبدء الاغتيالات فِي الْعصر الأموي ومن بعده الْعباسي إيذانا بالشر والخراب، وسقوط الإمبراطورية الإِسْلامِية وهكذا فإن شكسبير قرن الْجريمَة السياسية بسقوط الْحضارَة والشر. إذا كانت وقائعها اغتيالات دموية وليست مجرد معارضَة سياسية بالرأي والْحجّة!! أتذكر زوجتي وهِيَ تقول: وبابا يقعد يذاكر. تعرف النَّهاردَة يا علي كام فِي الشّهر؟ ؟ أنا عارفَة.وعلى الله لما نرجع نلاقي بابي خرج النَّهاردَة كام فِي الشّهر؟!. إنه يوم ميلادي إنها مناسبَة لا بد فيها أن أحلق ذقني!!

قلبت صفحات جريدَة اليوم. . النَّبي يوسف يطل بسيرته مكتوب: "ومع يويا أو يوسف توجد فِي الْمتحف الْمصري أيضا مومياء زوجته "تويا" وهي سيدَة مصرية على الأرجح أنه تجري فِي عروقها دماء ملكية. ووجدت بمقبرَة يويا أواني زهور، وكراسي وسريران، وعلب مجوهرات، وزينَة وأوان من الْفخار، وقلادات وصناديق، وبقايا طعام وصندلان، وأوراق بردي طولها ٢٢ ياردَة تضم أجزاء من كتاب الْموتى وعجلَة حربية كاملَة وهي الثانية من نوعها الَّتِي تكتشف سليمَة تماما من عصور مصر الْفرعونية !! علماء الآثار لم يوجهوا اهتماما للبحث فِي أصول يويا رغم أنه من غير الْملوك "الذي دفن فِي وادي الْملوك ولم يدفن فِي وادي النَّبلاء" !! كما أنه كان يحمل ٤٠ لقبا منها: حامل أختام ملك مصر السفلى، والْحكيم، والأول بين رفاقه، والصديق والخازن. يويا وتويا. إنّه تجانس الهيام. . العشق. . أكانت زلَة بشر. . أم زلَة قدر؟ "مومياء زوجته تويا" وهي سيدَة مصرية من الأرجح أنه تجري فِي عروقها دماء ملكية. . فهل هِيَ زليخَة امرأة الْعزيز. ؟ أقوال يهودية بأن يوسف تزوج زليخَة "امرأة الْعزيز" ردها إليه الرَّب. شابَة

– بعد موت زوجها– تلاقيا بعد ٣٠ سنَة من توليه الأمر بمصر؟ !. كانت عجوزا عمياء ضاع منها الْجمال والْمال والجاه ولم يضع حب يوسف !؟ اعترفت بفعلها علنا " أنا راودته عن نفسه فاستعصم" وتحملت اللوم، وآمنت برب يوسف. ليأتي الْوحي ليوسف بالْبحث عنها والزَّوَاج بها! ويقول الْوحي: "لا تنس أنها ربتك واعتنت بك وأحبتك، كنت لها ابنا فلما كبرت رأتك حبيبا قس ما فعله إخوتك بما فعلته زليخَة. أيمكن أن يتطابق الدين مَعَ التّاريخ؟!

أكمل التّحقيق الْموسع بالجريدَة أجد بدون مبرر هذا التّخريج مقحما على الْموضوع: "اليهود الذين جاءوا إِلَى مصر مَعَ سيدنا يوسف خرجوا من مصر مَعَ النَّبي موسى عليه السلام بعد ٤٣٠ سنَة فِي أوائل عصر الأسرَة الثامنَة عشرَة. وبدأ اضطهاد اليهود فِي عصر الْملك "حورمحب" الذي دام عهده حوالي ٢٨ سنَة وهو آخر ملوك الأسرَة الثامنة عشرَة، ويؤيد هَذَا الرَّأي كل من الأثري "آرثر ويجال" وعالم النَّفس اليهودي "سيجموند فرويد" وينتهي بأن اليهود خرجوا من مصر فِي عصر "رمسيس الثاني" وهو ثالث ملوك الأسرَة التّاسعَة عشرَة أي حوالي عام ١٤٠٠ قبل الْميلاد أو في عهده، أو أنهم خرجوا من مصر فِي عصر "منفتاح أو ميرنبتاح" رابع ملوك الأسرَة التّاسعَة عشر وهو ابن رمسيس الثاني، مِمَّا يؤكد أن اليهود لم يغادروا مصر دفعَة واحدَة بل غادروها خلال فترَة ربما امتدت مائتي عام. وهو وضع يتماشى مَعَ حركات الشّعوب وهجرتها". يحضرني سؤال: هل أخرجوا اليهود، أم هم الذين خرجوا مُخْتَارِين وسعوْا لذلك، إن الْفرعون ذهب ورائهم ليعيدهم، دخلوا مصر مختارين فِي عصر النَّبي يوسف. وخرجوا مَعَ موسى؟ *

الإحصاءات الْموثقة تشير إِلَى عمليات سرية لجأت لها إسرائيل لنقل اليهود إليها من الْبلاد الْعربية، ففي ١٩٥٠ وعبر جسر جوي بين عدن وتل أبيب نقل ٨٦٥٠ من يهود اليمن – وفي ١٩٥١ أقيم جسر جوي عرف بالْبساط الطائر نقل حوالي ٨٩٠٨٨ من يهود الْعراق إِلَى إسرائيل من طريق قبرص ومن ١٩٤٨ وحَتَّى ١٩٥١: تم هجره٣٠٩٤٢ من يهود ليبيا، ٢٥٠٠١ من يهود الجزائر، ٢٣٢٦٥ من يهود اليمن، ١١٨٤٤ من يهود الْمغرب، ٨٢٦١ من يهود تونس، وكلهم خرجوا مختارين لإسرائيل؟ ! وفي ١٩٦٠ تم نقل ٤٠٠٠ من يهود الْمغرب دون إعلان بمساعدَة الْمخابرات الْفَرَنْسِيَّة!! ثم كانت فِي الثمانينات " ١٩٨٢ – ١٩٨٥ " عملية (موسى الْكبرى) وفيها تم نقل يهود إثيوبيا "الفلاشا" عن طريق السودان لإسرائيل بمعرفَة الْموساد وعلى طائرات الْمليونير اليهودي "جورج ميتلمان": وتم فيها نقل ١٠٠٠٠ من يهود إثيوبيا؟

==

الَّذِي طرد اليهودَ هو الْغربُ، الألْمان أعلنوا الْحرب على اليهود، لقد أجبروا اليهود على ارتداء شيء أصفر كلما أرادوا الخروج ليتمكنوا من التّعرف عليهم ! ما لَمْ أستطع فهمه هو ما كان يصنعه اليهود فِي ألْمانيا كيف وصلوا إِلَى هُنَاكَ إِلَى بلد الثلج؟ كنت أظن أن اليهود كالعرب يفضلون الْمناخات الدافئة، أفلم يكونوا يسكنون الْمدينَة الْمنوّرَة وسط الصحراء الْعربية، فِي عصر النَّبي؟ ! وقبل ذَلِكَ عاشوا فِي مصر غير بعيد عن مكَة، وفي سورية وفي كل الشّمال الإفريقي بل ليبيا أيضا. هُنَاكَ شيء مؤكد لقد عاش اليهود مَعَ الْعرب مُنْذُ أقدم الأزمنَة. وقد عاملهم بالْحسنى النَّبي محمد عندما بدأ الدعوة إِلَى الإسلام. لكنهم ارتكبوا شرا، فقرر أنه إذا كان للديانتين أن يتعايشا فِي مدينَة واحدَة فيكون ذَلِكَ فِي حيين منفصلين.!

اذهب للحمام لأحلق ذقني، صورتي فِي الْمرآة تؤكد أنّ الْعمر مر تجاعيد تحت جفون الْعين، اللون الأبيض يزرع جذوره فِي الشّعر ما فِي الْقلب يصغر عن ما بدا فِي الْوجه بعشر سنين!! أحان الْوقت لطفل آخر حتَّى لا أترك ولدي وحيدا؟ هل يترك الْقدر لِي الْقدرَة على اختيار متى يأتي الأولاد؟ . أئذا تركت زوجتي الْحبوب إياها، أو مجرد وجودي الذُّكُوري معها. يأتي بالْحمل؟ أم أنّ هُنَاكَ أشياء حدثتْ لدينا. . وبنا أعجبها الْوضع الْحالي !! إن علي جاء واللولب موضوع ؟! ولذا تعاملنا مَعَ الْحبوب. أكانت هِيَ الْحقيقَة؟ أم ضجر أنثوي من رجل تخاف هروبَه.. فكذبت الْعلم بالْكيد؟! أكان فِي عيني بيان الْفرار.. فخلعت اللولب باردَة منفردَة لها ما يبررها من خوف و ضجر أنثوي وشبح امراة اخرى .. أم هو استثناء الْعلم؟!.. يا للنساء. ! على كل حال بقي للحكاية نكهَة الْفحولَة. . حين أحكي بأن الْعلم لا يقف فِي وجه قوَة الرَّجل، الْجامح، الطامح فِي الْعشق،وأضرب بنفسي كمثال، فتطمع بعض النِّساء فِي هذه الأُعْجوبَة!! وتعتقد أن

==

مجرد روايتها غزل أو عرض ينتظر الطلب! ولكن تبقى الْحقيقَة عند زوجتي، والطبيب الْمعالج!

-٥

بالتلفزيون امامى اعلنت السلطات بفرنسا عن شغب بغرب باريس من مهاجرين عرب،اشعلوا النار فى غفر للشرطة بعد تطبيق القانون١٩٠ باربع وعشرين ساعة؟!. لم افهم وبدأت البحث فى القنوات المحلية..هاهو مسئول بالبوليس الفرنسى يلقى بيان:(إن العنف جاء من احتجاجات على القبض الذى تم لرجل تم تغريم زوجته لإرتدائها النقاب فأعتدى الرجل على الضابط الذى كان يحرر المخالفة،ولكن جموع من المواطنين والمقيميين من المسلمين زعروا لذلك فأشعلوا النارفى حاويات القمامة فى مدينة "تراب" حيث مكان الواقعة، ثم حطموا محطة للحافلات مما اضر البوليس لإطلاق الاعيرة النارية فى الهواء للتفريق.) لم افهم لماذا أوقف البوليس المرأة المنقمة فى الطريق العام وغرمها وهى تسير؟. .إن زوجتى وعلى بالخارج..أقوم فى خوف للشارع للبحث عنهما.اشترى جريدة اليموند فأجد المفاجأة ([قانون حظرغطاء الوجه فى الأماكن العامة] وينص على:" أن آى امرأة تخالف، حظر أغطية الوجه تعاقب بغرامة ٢١٦يورو،ومن يجبر امرأة على لبس الحجاب أو النقاب يعاقب بضعف الغرامة، وفى حالة التكرار تكون العقوبة الحبس") ضربت زوجتى فى مقتل؟

انهمر المطر كالمعتاد ولما كنت نسيت الامبريلا،وخرجت فى ملابس عادية فبسرعة عدت للمنزل..

أعاود التّفكير فِي الْبحث. يُلقي كامو. بقية ضوء ويركز عدسته الْمكبرَة. فِي مسرحيته "العادلون" تروي حكاية فئَةٍ من الْمثقفين الْمخلصين الذين يقررون اغتيال الدوق الْكبير لأنه يسيء إِلَى الْبلاد، يجدون فِي موته واجبا إنسانيا. هم يمقتون الْقتل، ولكنهم فِي محاكمتهم له فِي تنظيمهم السري، حكموا عليه بالإعدام.

دورا: إننا مجبرون على أن نقتل أليس كذلك؟ وكاليالیف هو الذي سينفذ الاغتيال. طيلَة عام عشنا من أجل تلك اللحظَة.دقيقَة بدقيقَة، ساعَة بساعَة. أعطينا للدوق فرصه. وحاولنا فرملَة طغيانه ولكن دون جدوى لسنا وحدنا الْحانقون وإنما كل الْوطن كاليالیف سيعمل إرادَة الْوطن؟

فهل يمكن للقانون أن يقف بجوار كاليالیف الَّذِي سيعمل إرادَة الْوطن. إذا ما أطلق رصاصَة على الدوق؟ ما يسمى "الْجريمَة السياسية" أي ما يرتكبه صاحب الرَّأي أو الْمذهب السياسي مخالفا به الأوضاع السياسية الْقائمَة والَّتِي يحميها الْقانون ليست فِي الْواقع من قبيل "الإجرام" الَّذِي تصدق فِي شأنه وظائف الْعقاب الأخلاقية منها أو النَّفعية فمن النَّاحية الأخلاقية أي "العدالَة" لا يمكن الزعم بأن عقاب الْمجرم السياسي فيه تحقيق الْعدالَة عن ذنب ارتكبه وتهدئَة بالتّالي لشعور السخط الْعام، لأن هَذَا الشّعور إن وجد فإنما يوجد عند فريق فقط من الْمجتمع لا يوافق الْمجرم على معتقده السياسي بينما شعور الإعجاب هو الْقائم لدى فريق آخر مؤيدا له، وقد يشكل الْغالبية فِي بعض الظروف. ومن ناحية الْمصلحَة الاجتماعية فإن مجرد تقرير عقوبَة للجريمَة السياسية قلما يصد صاحب الرَّأي السياسي عن مواصلَة نشاطه فِي سبيل تحقيق أهدافه كما أنّ عقاب الْمجرم السياسي بالفعل لن يثنيه عن رأيه أو رسالته الَّتِي يؤمن بِهَا، ولن يمنعه بالتّالي من الْعودَة إِلَى تكرار محاولته متى سمحت له الْفرصَة. ويذهب كاليالیف بالقنبلَة، مترصدا مرور عربَة "الدوق الْكبير" لكنه لا يرمي بالقنبلَة. . لماذا؟ لأن أطفالا كانوا يرافقون الدوق فِي عربته، ولأنه ليس من حقه أن يقتل الأطفال. . كاليالیف: لم أحلم قط بشيء كهذا. . أطفال، أطفال بالذات. . هل راقبت قط عيون الأطفال؟ تلك النَّظرَة الْحزينَة الْمباشرَة. إذن اصطدم كاليالیف لحظَة الْقتل بـ "هول" الإنسان الْعادي داخل نفسه وسقط عنه فكرَة الْقتل للأبرياء، سقط سحر التّنويم السياسي الذي يبرر أحيانا لأصحاب الْعقائد إباحَة الأمر! ألهذا نهض الاتجاه الليبرالي فقال السياسي الْفَرَنْسِي "فرانسوا جيزو" بضرورَة استبعاد "الإعدام" الْعقوبَة الْعظمى من هَذَا الْمجال والتّرفق بالْمجرم السياسي بوجه عام بحيث لا يخضع فِي الْعقاب لما يخضع له الْقتلَة السَّفاحون،

واللصوص، وقطاع الطرق، وأسس هَذَا على أن الْجَرِيمَة السياسية لا تشكل ذنبا أخلاقيا. إذن فلا محل لفكرَة الْعقاب الَّذِي يعني التّكفير عن الذنب إرضاء لشعور الْعدالَة. ثم جاء "جاروفالو" قُطب الْمدرسَة الْوضعية بعد ذَلِكَ وأدلى برأْيه فِي الْجَرِيمَة السياسية من وِجهَة نظر "علم الإجرام" فجعلها نموذج "الجرائم الْمُصطنعَة" بمعنى أنه أخرجها من نطاق الْجَرائم الَّتِي انشغل بِهَا "علم الإجرام" والَّتِي يُوصِي فيها هَذَا الْعلم بفحص الْمجرم من النَّاحيتين الأنثروبولوجية والْبيئية لتُبين الْعوامل الَّتِي أثَّرت فِي سُلوكه الإجرامي وتقدير نصيبه من الخُطورَة الإجرامية، كل ذَلِكَ تمهيدًا لاختيار ما يُلائمه من تدابير أمن الْمجتمع وحمايته من هذه الخُطورَة ولا ريب فِي أن هَذَا الْمنطق الْعلمي يلتقي مَعَ الْمنطق الْعقلاني الَّذِي ساقه جيزو من حيث ضرورَة استبعاد الإعدام وكل عقاب أو تدبير انتقامي من نطاق الإجرام السياسي؛ لأن الاستئصال أي الإعدام عند بعض أقطاب الْمدرسَة الْوضعيَّة إنما هو تدبير لحماية الْمُجتمع من الخطورَة الإجرامية وهو معنى لا وجود له فِي حالَة الْمجرم السياسي؟ !

عند شكسبير مثلا الْقتل أو الاغتيال السياسي شر، حُجَّة يُعطِّي بِهَا الإنسان أحيانا حُبَّه للسُّلطَة أو للظهور وفي مسرحيته الرَّائعَة "يوليوس قيصر" لحظَة يقتل الْقيصر بين أصدقائه، ويرى بينهم "بروتس" الذي ربَّاه وجعله ينشأ فِي بيته! فلا يهوي إِلَى الأرْض ولا يلفظ أنفاسه إلا حينما يرى بروتس الذي يؤمن به والذي يحفظ تعليماته عن ظهر قلب وقد سدَّد طعنته إليه إذ يقول: وأنت أيضا بروتس؟ ! فلْتَمُتْ قيصر إذن. إنَّه لا يُعاتب أو يطلب عقاب بروتس وإنما يعني. . إذا كان هَذَا رأي بروتس معكم، هَذَا الرَّجل الذي أؤمن به، ويؤمن بي، هَذَا الرَّجل الذي أكل عيشي، وشرب نبيذي، إذن لا بُدَّ أن هُنَاكَ سببا مُقنعا لموتي فَلأَمُتْ إذن. !! لكن شكسبير يجعل قتل قيصر نذيرا للخراب، فالقتل عنده مَقرُون بالطبعية الْغاضبَة والْمذهلَة، وبظهور شرورها كَرَدِّ فعل ضد شر الإنسان ويعبر عن ذَلِكَ بالسحرَة والنُّبوءات وانتشار الْبُوم، لكن قيصر نفسَه يتجرَّد فِي لحظَة موته ويرى أن الْموت جزاءً عادلا! فهل الْقانون الْفَرَنْسِي لَه شفافية قيصر لقد سحبت من الْوجدان الْقَانُونِي كلمات "ثورَة وكفاح وتمرد ومقاومَة" لصالِح مصطلح

وحيد "إرهاب" ؟! إن بروتس وأنطونيو وكل الثوار ضد قيصر – ليس لهم من نصير فِي الْقانون الْحديث إلا الجُبل. . ليصيروا من الْمطاريد. عُظماء التّاريخ هم مطاريد الْقانون؟! الْمقاومَة الفلسطينية من مطاريد الْقانون! الأكراد من مطاريد الْقانون! الْغَجَر من مطاريد الْقانون ! الأرمن من مطاريد الْقانون! ال. . .

سمعت صَرِير الْباب وهو يُفتح. .

انطلق عَلي إلى أحْضاني وهو يَصِيح: "بابي. . بابي رحنا الْبارك

احتضنتُه وقبَّلته، كان فِي عينيه حنان يكفي فرنسا. قبضت على لحظَة الْعذوبَة هذه. شعرت بأنَّه قطعَة مني كان ما وراء هذه اللحظَة قبض الرِّيح ! لم ألْحَظ أن زوجتي أتت بتورتَة وشموع وقداحَة جديدَة.لزوم عيد ميلادي. ولكني تَنبَّهت.لليونتها الإنسانيَّة حينما ارتدت قميص نوم قصير بلون أصفر كناري وهَمستْ "سنَة حِلوَة يا حبيبي " كانت تُرَاوِد عليًّا بجَسارَة على أهمِّية النَّوم.وتحتُّه عليه بفسحَة جديدَة. والصغير مُستكين فِي أحضاني مُستمتع بلحظَة أبوَّة. استوحشتني، فاستملح التّمتع بِهَا، ولكن لم يقاوم كثيرا عند الْوعد بلُعبَة جديدَة كانت أعجبته؟!

" أتذكر. . صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش"، وفنجالين عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد. وصحن بِهِ بلح. بل إنها غيرت قميصها- عَلِّي أُغيِّر مِزاجي- فجاءت بقميص نوم أصفر؟ ! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبُن. . قالت: قهوتي مُرَّة يُمكن أن تتناول معها التّمر. وإذا شربت الْماء رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد؟!" اللون الأصفر؟! لِيُساعد الله إذن الْقيصر. فالغواية تأتيه صفراء لامعَة !! أمنياتي للأصفر الْكناري. . أتمنى أن تُفرد ما عندها. تلبس كل ما عندها. . وتقول كل ما تعرف. وتلقي بعلبَة الْحبوب!!

هذه.الذي أؤمن بها، وتؤمن بي، هذه الَّتِي أكلت عيشي وشربت نبيذي، إذن لا بد أن هُنَاكَ سببا مُقنِعًا ل .....

.....

..... هذة

السطور البيضاء "طريقة مهذبة اخترعها "احسان عبد القدوس" فى رواياتة..للكلام عن شيء مهم اسمة الغرام ..اوال. ؟!" فليمت قيصر أذن ولاموت معه

الفصل الخامس

عاودت الانتظام اليومي بالْمحاضرات فالتّرم الثاني من الْمنحة الدراسية كان مكثف الْمنهج كما أني كنت أتردد على مكتبة الْجامعَة كطريقَة للمذاكرَة، وأيضا لحل لوغاريتم الآثار الفرعونية الَّذِي وقع فِي حِجر زوجتى فجأة !!

-١

غير أنّ حقيقَة الأمر وبواطنه فِي هَذَا الالتزام الَّذِي وصل إلى حد التزام تلاميذ الدِّراسَة الابتدائية عندنا فِي مصر بالذهاب كل يوم للمدرسَة،أمرآخر؟ كنت أبحث عنها، ولكنها لا تأتى الْمحاضرات الْمشترَكة بين ما أدرس وما تدرس انتهت، وهِيَ بطبيعتها مُنْذُ الْبدء ليست من هواة الْمكتبَة!

حتَّى الأماكن الْعامَّة بداخل الْجامعَة حيث كنا نتردد عَلَيْهَا بحثا عن صدفة عمدًا، كانت تجمع الْكثيرين والْكثيرات، ولكن ليس من بين الْجميع (زبيدَة)!

لم تأت الصُّدف الَّتِي أريدها، ولكن الْقدر ساق صدفًا أخرى. تأتي حتَّى الصُّدف بما لا يشتهي الْعناق! إنها الْفَرَنْسِية سريعَة الْحرَكَة، كنت أعتقد أن الْجزائري ذبحها إذ عرف أنها تبحث فِي الْحجاب عن جذور الدافع الْجِنْسِي؟ ! ولكن يبدو أن الْجزائريين يملكون من السماحَة وسعَة الأفق أكثر مِمَّا قدرت مَعَ فرنسا؟!

كنا نلتقي فِي نظرات طويلَة تنتهي بأن يَغُضَّ أحدنا النَّظر. وينصرف، كان من الْواضح أننا مدركين لمعرفتنا السَّابقَة، ولكن مُصرِّين على نفيها! ولكن مَعَ كرم الْقَدَر، واعتياد الصُّدَف تبيَّن لِي أنها أطول مِمَّا قدرت، وأنها دخلت إلى موضة التّايير ولم تخرج منه، تايرات أنيقَة بألوان مختلفَة، ودوما جيب قصير!

أثناء وجودي بالْمكتبَة وجدت كتابًا بعنوان إنجليزي the dramedary وعليه رسم الْجَملوكان معنى الْكلمَة (الْجَمَل الْعربي) اختطفته من الْحامل،فيبدو أنه جاء موعد معرفة معنى "أيُّها الْجمل الصحراوي" من شفتي حبيبتي ابنَة ميركو "كما تحب أن تنطق الْمغرب" أيكون ذَلِكَ سبب الْغياب؟! ألا تعرف أن الله يقول: (أفلا ينظرون إِلَى الإبل كيف خلقت) ..الْكتاب يقرر أن الْجِمَال تُسَمَّى الإبل عند الْعرب، وأن الذَّكر الْقوي يُسَمَّى هجين والأنثى تُسمَّى ناقَة، وأن الْعرب قبل الإِسْلام كان لديهم عادات مَعَ الإبل؛ فالنَّاقَة الَّتِي تلد خمسَة بُطون تُشَقُّ أذنها تعفى من الْحمل والذبح، وأما الْجمل الَّذِي يُعَشِّر عشرَة ناقات فيسمونه (الْحام) الَّذِي حمى ظهره فيُترك لا يُركب، ولا يُنتفع به ولا يَمنع عن الْماء أو الْمرعى !!

للعشق حكاياته فِي دنيا الإبل، فالجمل لا يصبر على الْماء والطعام فقط، ولكنه يصبر على رغبته أيضا! وبالتّالي فالنوق "جمع ناقة" هِيَ الَّتِي تبدأ الغَزَل؟ ! تبحث عن الذَّكر ويُصاحب ذَلِكَ حركَة جسمية كتلاعب ذيلها، أو فتح الأرجل الخلفيَّة. . أما الذكر فهو شاعر فِي عشقه؛ فهو لا يُحاول التّقرب بفمه من فتحَة الْمِهبل كمعظم الْحيوانات!! ولكنه يلمس رقبَة النَّاقَة ويُدَغْدِغها، ويُصدر صوت الْقبول للجِماع وهو الْمعروف ب (الْقرقار) فإذا سمعت النَّاقَة (الْقرقار) بركت، ونخَّت وركعت فيركبها الْجمل ويحتضنها برجليه الأماميتين. أمَّا إذا لم تكن مستعدَّة تخفض جسمها بهدوء وعاندت الْجمل، فإن الْجمل يعضها فِي رقبتها ويرغمها بالقوَّة على الرُّكوع على الأرْض، وهنا يصدر صوت يعرف بـ (الْقصف). يذكر الْكتاب أن هُنَاكَ روايات كثيرَة عن جماع الإبل تختلف هذه الرِّوايات حيث إنها نادرا ما تشاهد وهِيَ تقوم بهذه الْعَمَلِية كما أن أفراد الْقطيع الآخرين يحجبون الرَّؤية عن الإنسان أثناء الأمر! ومن هذه الرَّوايات ما يُحكى عن "النُّوق الْحمر" وهِيَ الَّتِي تدرك من صوت الذَّكر، ولمسه لرقبتها، ما إذا كان "هجين" أم ضعيف، فلا تترك نفسها إلا للذكر الْقوي (الهجين) فتبرك! وتكون قادرَة على مقاومته ورفضه حتَّى إذا عضها ليرغمها على الرُّكوع، لأنها تدرك ضعفَه فينصرف عنها.

أتذكر الْبحث فأُلملم الْكتب الَّتِي أعْتقد أنها مُفيدَة. . وأكتب.. (أندريه مالروا) يصف أجمل وأصدق وصف للجريمَة السياسية فِي رائعته "الوضع الْبشري" (تشن) يقتل إنسانا لا يعرفه، ولا يرى جسده أيضا، لأنه نائم تحت ستارَة السرير (ناموسيَّة) تلفه تلك الْكدسَة من الشّاش الأبيض الَّتِي كانت تتدلى من السقف على الْجسد. إذن (تشن) لا يقتل رجلا وإنما فكرَة مكفنَة بالْبياض؟ ! هو يعتقد أنه بالتّخلص منها تنتهي معاناته، وشرور الأرْض !) مالروا ببراعَة مُذهلَة استطاع أن يُلخِّص رؤاه للموقف خلال اللحظات الَّتِي تسبق الْقتل كلها: تشن لا يعرف الرَّجل الذي سيقتل ولا يَعيَهوكل ما يعرفه هو أن من واجبه أن يقتله ! وهو مطمئن إلى هَذَا. ولا يراه كإنسان ذي جسد إلا لحظَة الْقتل بالذات فقط لحظَة "يشعر بالجسم عبر نصل الخنجر ينتفض".

. يشعر "بهول" الْقتل الإنساني لكن بهول وقلق مجيد، مجيد؟ ! لأنه فِي اللحظَة نفسها لا يعتبر نفسه قاتلا فهو "قربان يقدمه للثورَة" لا يهم من الْمقتول؟ ! وإنما الْمهم الأثر نتيجَة قتله !! ولكنه. . ونقمَة الدراما، بعد أن يذهب متوهما الخلاص. إذا بالْمقتول رجل آخر؟ موته لا يُنهي معاناتَه وتبقى شرور الأرض، ويضاف لوجدانه خزي أنه قاتل غبي بلا ثمن ولا معنى؟

يحدث هَذَا مَعَ الْمجرم السياسي حين تهرب منه طلقته عن الهدف الأساسي فتصيب بريئا! كانت السياسَة تُضايقه والنظام الاجتماعي يضيق عليه، فأنهى هَذَا الْغضب بالتَّنفيس بقتل أحد الْوزراء أو الْمشاهير أو. فإذا به قتل بريئا ولم يجد هربا من إثم الْقتل، إلا نفس الْعبارَة السَّابقَة "قربان الثورَة".؟! صحيح إن قتل "الطاغيَة" هو قتل فكرَة بقدر ما هو قتل إنسان. ولكن لا عبرَة فِي النِّية الإجرامية بتحديد محل الْجريمَة أهي الطاغية أم الْبريء؟ ! يا أيُّها الْقانون أتتصور أنك تأتي لنا بالعدل؟ ! كم كنْتِ عبقرية يا زبيدَة. . حين قررتي أن تُعرِّي الْقانون وتُفقديه وقارَه، كنت تُظهرين توحشَه وتطالبيه بالرأفَة، أأنت أديبَة أم علَّمك الأدب أن تكوني محامية شاطرة؟ !

القانون يرى توفر "النِّية الإجرامية" أي الْعمد لدى الْجاني بغير أن يَكُون الْجاني محيطًا بالصفات الْمميزَة لمحل الْجريمَة "الْمجني عليه" ويفترض أنه لم يكن يعنيه تحديد هذه

الصفَة وإدخالها فِي حسابه الإجرامي. فهو قد قبل الْجريمَة مقدمًا بالصفات الَّتِي يستقر عَلَيْهَا محلها أيًّا كانت عندئذ؟ ! ويعرف الْعمد هُنَا بحسب ما درج عليه الْفقهاء فِي كتاباتهم – بالعمد غير الْمحدود –!

مالروا فِي رائعته "الوضع الْبشري" يُعرِّي الْقانون من أهم صفاته الْمنطق! ولكن يبقى للقانون عذره "للعمد غير الْمحدود" حالَة الذي يُلقِي بقنبلَة فِي مكان عام اكتظَّ به الْجمهور قاصدًا من ذَلِكَ الإرهاب وإشاعَة الذعر والفوضى عن طريق قتل الْبعض، وإصابَة الْبعض الآخر بغير تعيين، أو قاصدًا قتل شخص بعينه يعلم بوجوده وسط الْمجتمعين لا يعنيه بعد ذَلِكَ من يقتل أو يصاب من الأشخاص الآخرين أيًّا كانوا أوْ كان عددهم؟

الْحيدَة أو الانحراف عن الهدف يعالجها الْقانون بمنطق عقابي لا بالعدل؟ ! وتتحقق فِي حالَة ما إذا أراد الْجاني مثلا أن يصيب "زيدا" بمقذوف ناري فيخطئه ويصيب شخصًا آخر يتصادف وجوده أو مروره بمكان الْحادث.

أو ما يُشبه حالَة ما إذا تعمد الْجاني قتل شقيقته بالسم بسبب سوء سلوكها، فلما أعطاها فطيرَة محشُوَّة بالزرنيخ لهذا الْغرض أرجأت أكلها ثم نسيتها فِي مكان بدارها فعثرت عَلَيْهَا شقيقتها الصغرى فأكلتها وماتت؟ !

أراد الْجاني "زيد" أو الْملك، أو الطاغيَة. . وأراد الْقدَر "عمرا". . فكان للقدر ما أراد، ولأن الْقانون لا يعرف ذلَّة الْقدر يعاقب الْفرد صاحب ذلَّة الْقدم !

الْقانون لا يرى أي غلط "يشوب الْجاني بالجريمَة الَّتِي تعمدها أو بشخصية الْمجني عليه فيها، لأنه يعلم تمامًا شخص من يصوب إليه سلاحه أو الْمقصود بالتَّسمم وكل ما هنالِك أنه أخطأه وأصاب سواه، ولكنه كان يريد النَّتيجَة الإجرامية "القتل"؟! فالرأي السَّائد فِي الْفقه والقضاء هو أن الْحيدَة عن الهدف أو الغلط فِي الشَّخص لا أثر لها فِي تحقق الْعمد لدى الْجاني بالنِّسْبَة للواقعَة الَّتِي انتهى إليها نشاطه، بمعنى أن الْجاني يُسأل عن هذه الْواقعَة كما لو كان قد تعمَّدها بالذات؟ ! فاعتبر الْغلط فِي الشَّخص والْحيدَة عن الهدف صورتين من صور هَذَا النَّوع من الْعمد الخاص الْمعروف بالعمد غير

الْمحدود. معنى ذَلِكَ أن "الْباعث" قانونا شيئًا مختلفًا عن "العمد" فهل ينبغي أن أمنحه أهمية عند الْبحث؟ !

الأديبَة (غادَة السمان) ترى بأن الاغتيال السياسي يختلف عن الْقتل لأنه شيءُ حضاري؟ ! الْحيوانات تقتل باستمرار لكنها عاجزَة عن ارتكاب الاغتيال السياسي، إنه أمر ينفرد به الإنسان فِي الطَّبِيعَة لأن له باعثا، لَه جذورا، وفِي معظم الأحيان سامي. . إذ إنه يتضمن قتل (فكرَة) أكثر من قتل كائن حي.

حقيقَة الأمر أنّ السياسَة الْعقابية الْمعروفَة لا تهتم بالْباعث فِي التّجريم؟ ! ولكن لَه أهمية عند إيقاع الْعقاب.للباعث الشّريف أثره الذي لا شك فيه من حيث تخفيف الْعقاب بمعرفَة الْقاضي فيما بين الْحَدَّين للعقوبَة "الأقصى والأدنى" أو تطبيقًا لأسباب الرَّأفَة عملًا بنظام (الإباحَة) وقد اعتبر الْباعث شريفًا فِي الْجرائم السياسية لأن مرتكبها لا يعد عليه أدنى مصلحَة من فعله، بل يُضارَّ منها بنسبَة كبيرَة؛ ولذا قيل إنَّه يتمتع بحق اللجوء السياسي وعدم التّسليم. . فهل هَذَا يطبق فِي الْواقع أم يقع علي الْمجرم السياسي ما لا يقع على الْمجرم الْجنائي؟ !

شعرت بيد على كتفي وأنا أسترسل مَعَ الْكتابة.وعندما الْتَفتُّ وجدتُّها الْفَرَنْسِيَّة وراء ظهري؟ فهل ستبدأ الْغزل، أم النَّاقَة الْحمراء ستبدأ معي معرَكَة أخرى للإبل؟ اعتدلت ناحيتها فِي جلستي واستمرت لحظات الصَّمْت

– لماذا تهرب مني أتتجاهلني أم نسيتني؟

– أنت لا تُنسي.

– لن أعطل برنامجك، أريد عنوان الإقامَة، حتَّى أُرسل لزوجتك هدية ردًّا على هدية الْحجاب الأنيق.

– هل هَذَا يعوق زواجي من فرنسيَّة؟ !

– ستدخل السجن ففرنسا، لا تعرف تعدد الزوجات.

- ألا تجدين لِي حلا؟

قامت عاجلَة، فأعطيتها الْعنوان، وانصرفتُ معها، عند مخرج الْمكتبَة، لهوت معها قائلا:

- "هُنَاكَ بُقَع حمراء على التّاييز من الخلف"

انزعجت والْتَفَّت، ولكنها اكتشفت لهوي، قالت غاضبَة وقد احمرَّ وجهها وتغيَّر الْمزاج.

- لن ينتهي غرامك بالشبق!

تركتني. . فهل الْفرنسيات لا يفهمن الدُّعابَة؟ !

-٢

" إننا نعيش عالَة على الْغرب، لقد اكتُشِفت أن الْغرب لا يقوم بالتَّنقيب عن آثارنا فقط، وترميمها فحسب، بل يقوم بترجمَة النُّصوص من الْبرديات، والجداريات الْمصرية الْقديمَة إِلَى لغته هو؟ ! فالغرب، يكتب تاريخنا الْقديم، لم يكتف بتاريخنا الْحديث الَّذِي صاغَه على هواه؟ ! يبدو أن أساتذَة الآثار عندنا لا يعرفون الهيروغليفية، ويعتمدون على ترجمات الْغرب! إذا بحثت عمن يكتب تاريخنا الْفرعوني ستكتشف أنه الآخر! الأجانب بمن فيهم اليهود والإسرائيليين، هم الذين ينقبون ويكتشفون ويسجلون النُّقوش والنصوص. بردية (كتاب الْموتى) محفوظة لديهم بالْمتحف الْبريطاني "جيمس برمسيتد" امتلك قدرَة الْبحث فِي كل النُّصوص الَّتِي تم اكتشافها حتَّى أوائل الْقرن الْماضي وقام بترجمتها للفَرنْسِية ولم تترجم للعربية حتَّى الآن! نحن نفاجأ بأن هُنَاكَ اكتشافات حديثَة تملك برديات أو نصوص تدخل الرَّيب و الشّك فِي ما عرفنا، هُنَاكَ أخيرًا ما يعرف بمخطوطات (الْبحر الْميت) منعت إسرائيل الْباحثين من الاطلاع عَلَيْهَا، وكل بضع سنوات تخرج علينا بمعلومَة وتقول وجدناها فِي هذه الْوثائق؟ !"

إنَّه الْموَّال اليومي الَّذِي أسمعه من زوجتي، فقد أصابتها لعنَة الْفراعنَة، إنها منكوشَة الشَّعر، مُنْكبَّة على كتب، وقصاصات لصحف، وفي كل يوم أستعير لها الْمزيد من

مكتبَة جامعَة ليون، م تعد مشغولَة بالْمطبخ، ولا الشّوبنج، ولا علي، واعتذرت عن برنامجها لزيارَة الْمستشفيات. أصبحنا نأكل الطعام السريع الْجاهز، وأصبح علي يحب بابا أكثر – يقولها نهارا جهارا– وهِيَ لا تهتم!

فأنا الْحريص على شربَة للبن، ولو كلفني ذَلِكَ بضع ساعات فِي "الْبرك" أو "الزو" كما يهوى مذاجه أحاول الدُّخُول للزوجَة. . أُلاعبها أحيانا. . فبملاعبَة الأحبة نصح به نجيب محفوظ!! فأظهر اهتماما بدنيا الْفراعنَة، ولكني أمل، وأرجع فِي كل محاولَة أردد: فعلى نفسها بغت براقش!!

أنا – ماذا لو كنت السَّادات، وقال لك بيجين كم هِيَ عظيمَة الأهرام الَّتِي بناها أجدادي اليهود الْقدماء؟

زوجتي– أقول لَه، يا بيجن، شد اللحاف عليك. . واتغطى كويس.

– وتقولي إيه لابنك علي وهو بيدعي "ربِّ لا تذرني فردا"؟

تغالط، وتهرب، وكأنها لم تسمع، وتستمر فِي توهَة الْفراعنَة ..

– تصور أن "إيمانويل فليكوفسكي" أقحم الْوجود اليهودي فِي ثنايا تاريخ مصر قرأ "فليكوفسكي" دراسَة فرويد عن "موسى والتّوحيد" فكانت هذه الْقراءَة هي نقطَة التّحول فِي حياته وبعدها نذر نفسه وعلمه لهدف وحيد أسماه "الطب النَّفسي التّاريخي" وبه فسر التّاريخ واختار تاريخنا نحن الْمصريين بالذات؟ وأعود لنفسي وأسأل من يُوقِف الْقطار؟ وأُردِّدعلى نفسها بغت براقش!! وهِيَ تستمر ولا تتوقف !

– لأن لا أحد غيرنا فِي الْعالم يُسمح لَه بذلك.كتب كتابه عن "أوديب وأخناتون" والذي جاء تشويها متعمَّدًا لعقيدَة التّوحيد بهدف هدم شخصية أخناتون فتحوَّل أخناتون عنده من داع إِلَى فكرَة التّوحيد إِلَى مجرد حامل لشعور عدائي تجاه أبيه، ومرتبط مَرَضيا بأمه، وبالتّالي فكل ما جاء به من إصلاح ديني لم يكن غير ترجمَة لخيال مَرَضي مكبوت، فأخناتون هو الأصل التّاريخي لشخصية أوديب، وهو لم يشته أمه فحسب بل زنى بها! فأخناتون ليس ثائرا أو قديسا، لكنه مجرم خسيس قتل أباه ليزني

بأمه.تصور؟! وانتهى فليكوفسكي هَذَا من كتابه "أوديب وأخناتون" سنَة ١٩٤٥م وأُجل نشر الْكتاب لعشرين عاما ليصدر الْكتاب سنَة ١٩٦٥م؟ ! ليرحب به الْغرب واليهود. إنها الْبداية لرفع فكرَة التّوحيد عن الْفراعنَة، ثم يحوِّلنا السيد فليكوفسكي إِلَى "حرامية" لفلوس اليهود وثروتهم؟!

– كيف؟ وليس بعيدا أن يقيموا علينا مستقبلا دعاوي استرداد؟

– الثروَة الَّتِي جمعتها أمَّة اليهود وتراكمت على مدى مئات السنين من الْعمل، والاستقرار على أرض فلسطين، والغنائم الَّتِي جمعها الْملك شاؤول محرر الشّرق، ومن بعده الإمبراطور داوود وأضافَه لأرباح تجارَة الْملك سُليمان مَعَ آسيا وأفريقيا وهدايا ملكَة سبأ.كل ذَلِكَ لهفة الْملك تحتمس الثالث كما هو منقوش على معبد الْكرنك، فيكون الْمصريون سرقوا كنوز اليهود. !!

– وهل الأمر مكتوب على جدران الْكرنك؟ !

– إنه يدعي أنها الْقراءَة الصحيحَة، لأنه وحدَه الَّذِي قرأ باطن النَّص وربطَه بغيره!! وعلى نفس الشَّاكلة تحدثوا عن الْوجود التّاريخي لليهود فِي مصر الْفرعونية، كتب ذَلِكَ فِي كتب ثلاثَة حملت عناوين "من الخروج إِلَى الْملك أخناتون"، "الأرض فِي اضطراب" وكتاب "رمسيس الثاني وعصوره" وتشكل هذه الْكتب مُحاولَة وظفت مختلف الْمعارف الْعلمية بما فيها الْجيولوجيا لإعادَة ترتيب الْمفاصل الأساسية لتاريخ مصر والشرق الْقديم. اعتمدت على فكرَة ضبط إيقاع أحداث التّاريخ الْمصري مَعَ إيقاع التّاريخ الإسرائيلي، عملية رتق وقص ولزق، بل كسر عنق كل الْحقائق. التّاريخ الإسرائيلي الذي يقف دون شواهد أو توثيق يؤكد مصداقيته حتى الْقرن التّاسع قبل الْميلاد، أُعيد اختلاقه وضعيا بهدف له غرض.

– أتقصدين أنهم فعلوا ما فعلته الْممثلَة "برجريت باردو" حين سبَّت الإِسْلام والْمسلمين بسبب أضحية الْعيد الْكبير، وفي الْمحكمَة أعلنت أنه ناموس فاسد؛ لأن ذبيح النَّبي إبراهيم هو ابنه "إسحاق" وليس ابنه "إسماعيل"؟!

– شيء يُشبه ذلك.

فمثلا: الذي دمر جيوش الهكسوس ليس أحمس الأوَّل، لكنه الْملك شاؤول أول ملكوهم! هَذَا الْملك هو الذي حرر مصر من الهكسوس!!

وغيَّر مسار التّاريخ فِي الشّرق وأتاح لمصر أن تنهض من جديد! مفتاح النَّظرية الْمخربَة هو خلق تزامن بين التّاريخين الْمصري والعبري مغفلة فجوَة عمرها ستمائَة عام؟ ! لا تتردد فِي اختلاق كل الْوقائع لسدِّها، وحتى استخدام كل علوم الدُّنْيَا الْحديثَة جاعلَة الْوجود الدِّيني ملتصق بالوجود التّاريخي؟ ! ليصل إِلَى أن الْملكَة حتشبسوت كانت معاصرَة للملك سليمان وأنها بالتَّأكيد ملكَة سبأ التّوراتية الَّتِي أتت إِلَى أوراشليم عاصمَة الإمبراطورية الإسرائيلية الْقديمَة فبلاد "بونت" الَّتِي أبحرت إليها حتشبسوت هي أوراشليم– أرض الإله– وليست سواحل الصومال أو جنوب شبه الْجزيرَة الْعربية كما هو ثابت تاريخيا؟ ! فأوراشليم هِيَ الَّتِي بهرت حتشبسوت بفنها الْمعماري اليهودي وخَاصَّة هيكل سليمان، فرجعت لتشيد على شاكلته معبد الدير الْبحري !! إنَّه تهويد تاريخ مصر

– وأنت حتثبتي إيه يا حرم آمون رع؟

– أثبت أن عصر أحمس الأول لا يتزامن مَعَ عصر شاؤول وداود، وعصر حتشبسوت ليس هو عصر سليمان، وأن عصر تحتمس الثالث لا يوازيه عصر رحبعام بن سليمان، إن لديهم مشكلَة الْفجوَة التّاريخية من كون ملوك إسرائيل عاشوا فِي الْقرن الْعاشر قبل الْميلاد كما هو ثابت فِي التّاريخ الإسرائيلي وطرد الهكسوس على أيدي أحمس الأول تم فِي الْقرن السَّادس عشر قبل الْميلاد (١٥٨٠ ق. م) هذه الأعوام الستمائَة غير الْمفسرَة والْمجهولَة، غطاها تاريخ موثق ومتتابع ومدون للتاريخ الْمصري

– الْفجوَة التّاريخية لا تزال قائمَة؟

– كيف؟

– إننا إذا لم نُعجِّل سيكون الْفرق بين علي وأخيه أكثر من ٦ سنوات وأكون بدأت الْعقد الخامس.

– لست مستعدَة لطفل، علي أخذت لَه ٤ سنوات إجازَة، وهِيَ الْمدَة الْقانونية الْمسموحَة، أريد أن أرجع لعملي، سأعوض ما فات بهذه الْبحوث.

–٣

وصلت طعنَة بروتس للقلب، فلماذ كل حب اورثنى طعنة فى القلب! فأخذت علي وتركت الْبيت، لا بأس بالْحديقَة الْقريبَة، واللعب مَعَ الصَّغِير، كم هو جميل فِي هذه السن.

كيف لم أَثُر، وأكسر الأطباق، وأحطم الْمرايا؟ كيف لم أهدد بامرأة سواها؟ أكبرت !! أكبرت على الثورَة والغضب ، احن لغضبى واكرة عقلى فى هذة السن!! ام اخاف الا اجد حبا يقبلنى ؟!

أم أن الْحب طاغية يتيه فوق كافَّة الْقِيَم وفِي ركابه ننسى أعمارنا، لا تُكمله الْفضائل، ولا تنقصه الْمثالب، نقائصنا تلوح فِي تاجه حسنا؟ ! أم أني نوع من الْبشر أحب أو أموت! العقل يقول لى لم يبق لى من حق الغضب الا على ولدى على .وصلنا لباب الْبنايَة نظرت كما تعودت على صندوق الخطابات لعل أحدًا من الْمحروسَة يرسل بخبر، وجدت خطابا غريبا بخط عربي على مظروفه، الْحروف فيه بدون همزات!! أفتحه. . . .

وأقرأ جَملي الْجميل.

من: هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ "كازينو الساحر" هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن السمينَة سبع مرات فِي

موجات سبع طلبا للزواج، أو رغبَة فِي الإنجاب السريع. ؟ أنا هُنَاكَ حيث الْحيَاَة بلون الْبحر. الأحباب دوما بين أحضان الْوجدان وعلى جدران الذاكرَة لوحات جميلَة لا يأتي عَلَيْهَا غبار النِّسيان. . أحبك. . وأُقَبِّل مفاتنك الْمتردِّدَة، ذكرياتي معك تكفيني، وتعصمني من فتنَة الرِّجَال فيما بقي من الْعمر!! فكم كنت نبيلا، حين خفت على عذريتي وقت الذروَة. هَذَا إحساس نادر فِي الْعشق. كشفت سري ولكن أتحبني رغم ما كان؟ ! لأني أحرص على هَذَا الْحب الَّذِي نتائجه مستحيلَة.

أحكي قصتي:

سبق لِي أن أُجْهضت! كان الْفاعل من الْمحارم؟ ! كسر قلتي !! وبالتّالي لم يكن الْحل الزَّوَاج، إنك لا تعرف كيف تم الأمر معي؟ ماذا فعل الرِّجَال والنساء، كيف تجد الْكراهية باسم التّبرك بالدين، لقد حرمت بسبب الْقسوَة والجهل والخوف والسرية من أن أكون أُمًّا فِي الْمستقبل؟ اجتمع عليَّ نساء الْقبيلَة بخبرتهم الْجاهلية فِي إسقاط أنثى اعتبروها عاهرَة، فأسقطوها للأبد.

الإجهاض إذا لم نجعله أمنا فإننا نجعل الْمشكلَة مضاعفَة فبدلًا من التّضحية بجنين غير مرغوب سنضحي بامرأَة ! فالإجهاض غير الآمن مشكلَة حميمية أفقدتني الأمومَة. ولا ينبغي أن تخاطر النِّساء بحياتهن وصحتهن وإننا علينا ألا نكون كالنعامَة ونضع رؤوسنا فِي الرِّمال فعندنا عدَّة إحصائيات ٢٠٠٠ طفل لقيط يُعْثَر عليهم فِي شوارع الْمغرب سنويًا!! أهذا يكفي؟ كيف تحافظ على ذكراي مَعَ كل سيجارَة مينتول فتشمني برائحَة النَّعناع! . كم كنت نبيلا،خفت على عذريتي وقت الذروَة. هَذَا إحساس نادر فِي الْعشق، ولكني. عرفت الأن سرى يا أغلى النَّاس أحبك للأبد.

"زبيدَة– زوجتك"

.....

الفصل السادس

١-

زواج متعة لمدة ساعة؟ فيلم عرض بفرنسا بعنوان :اهبك المتعة لسوء الحظ اختارتة زوجتى من بين خمسة افلام تعرض بمول مواجه للطريق المؤدى لقبر نابليون بونابرت فقد اضرت للأنصياع للشيخ ساركوزى صاحب قوانين فرنسا الجديد،وتخلت عن النقاب،وحتى الحجاب الشرعى بالوصول لصيغة من الحشمة الأنيقة تظهر الوجة والكفين،فلم تأت فرنسا لتجلس فى البيت؟!يالا النساء؟

الفيلم وثائقي إيراني للمخرجة الإيرانية (سودابه مرتضى) يتعرض لظاهرة زواج المتعة في جمهورية إيران الإسلامية، وفي هذا الفيلم تمكَّنت المخرجة من إلقاء بعض النظرات الفريدة على هذا البلد ذي الجوانب المتعدِّدة..يُقال (من وجهة النظر الشيعية) إنَّ النبي محمدًا قد أوصى أتباعه بالزواج المؤقَّت حين يكونون على سفر، وبحسب الرواية فقد وافق النبي على زواج المتعة في ظروف معيَّنة،على سبيل المثال في أوقات الحرب،أو في الحج؟! وتسمى هذه الممارسة في اللغة العربية بزواج المتعة وتعرف في اللغة الفارسية باسم "زيجة". يتجه بنا الفيلم إلى طهران؛ حيث نجد رجل دين يبدو مظهره من القرون الوسطى، يجلس بعمامة سوداء وعباءة خلف مكتب. ويبدو أنَّه ملم خير إلمام بالمسألة التي يُسأَل حولها. يسند هذا الرجل ظهره إلى الخلف على المقعد ويقول: "يجوز للفتاة العذراء عقد زواج متعة من دون ممارسة الجنس؟! إذ لا يجوزأن تتم أية عملية إيلاج، لامن قُبُل ولامن دُبُر"،ويحك أذنه بخجل،ويضحك وتظهر من ضحكته بعض الفجوات بين أسنانه،ثم يضيف: (فكَّر القانون الإسلامي الحنيف بكلِّ ذلك ف المتعة عند الشيعة كالزواج الدائم لا تتم إلاّ بالعقد الدالّ على قصد الزواج صراحة، وانّ المتمتَّع بها يجب أن تكون خالية من جميع الموانع، وانّ ولدها كالولد من الدائمة من وجوب

التوارث،والإنفاق وسائر الحقوق الماديّة، وانّ عليها أن تعتدّ بعد انتهاء الأجل مع الدخول بها، وإذا مات زوجها وهي في عصمته اعتدّت كالدائمة من غير تفاوت، إلى غير ذلك من الآثار على أنّ الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه وإدراكه بوضوح،

أنّ الشيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحلّية زواج المتعة وعدم تحريمه ـ وهو ما يعلنون عنه صراحة ودون تردد ـ إلاّ أنّهم لا يلجأون إلى هذا الزواج إلاّ في حدود ضيّقة وخاصّة، وليس كما يصوّره ويتصوره البعض من كونه ظاهرة متفشية في مجتمعهم وبشكل مستهجن ممجوج. تميّز الفيلم بلقاءات حقيقية بين متتبعى المتعة مثل هذا اللقاء في مكتب أحد رجال الدين.يصل له شاب ويسلم ويقبل يده،ويهمس له السؤال: هل يشترط في الزواج الموقت و الدائم حضور شهود ؟ الجواب:العقد المنقطع و الدائم لايحتاج الى حضور شهود،يلتفت الشاب ويعود يهمس السؤال: اذا كان زواج المتعة محدد لمدة ساعة و استمر الجماع اكثر من ذلك هل وقعنا في الزنا ؟ الجواب: نعم] يخرج الشاب ويقابل سيدة ويقول لهانتفق على اربعة ساعات وضعف المهر فتوافق ضاحكه،تمضى خلفه،وهويسبح فى سره ويقول بصوت مرتفع :إلا الحرام؟!

وتضج القاعة بالضحك.

ويسلِّط هذا الفيلم الضوء على ظاهرة زواج المتعة في إيران المعاصرة وحدها ومن أجل إنجاز هذا الفيلم التقت المخرجة النمساوية من أصل إيراني، سودابه مرتضي بعض رجال الدين وأبناء الطبقة الوسطى والشباب، وقد سألَتهم حول هذا الموضوع الذي يعرفونه جميعهم معرفة جيدة.ومن وجهة النظر الشيعية كانت تتم ممارسة زواج المتعة قبل ظهور الإسلام، وبعد ذلك في عهد النبي محمد، ولكن بعد فترة قصيرة ألغى "المتشددون السنَّة"زواج المتعة.إذ كان الخليفة الثاني(عمر)ينظرإلى(زواج المتعة)على،أنَّه (زنا) واعتبره محرمًا، ويقولون (قراره كان سياسياً، اكثر منه دينياً) وفي نظر الشيعة كان هذا تدخلاً متعمَّدًا في تقليد أقرَّه النبي محمد. وفي المقابل يتَّهم أهل السنَّة الشيعة بأنَّهم لا يبتغون بزواج المتعة شيئًا آخر غير الدعارة. وهكذا لا يتم تطبيق زواج المتعة في يومنا هذا إلاَّ لدى الشيعة وخاصة في إيران،ونادرًا ما كان يتم تطبيه في العراق،حتى كانت حروب

العراق المتعددة مع ايران والكويت وتدخل الغرب القبيح فى حرب تدميريه لقوة صدام. ولما كان الأصل فى زواج المتعة في إيران (يستهدف النساء الأرامل.)امتد بنفس المعيار سراً بالعراق،ولكنه يشكِّل اليوم،وخاصة بالنسبة للشباب، ثغرة جامدًا، فعلى الرغم من أنَّ زواج المتعة مكروه في المجتمع للأبكار والشباب. فنظريًا يستطيع الأزواج الشباب عقد زيجات دائمه، إلا انهم يفضلون من خلال زواج المتعة (من دون عقد زواج تقليدي) ممارسة حياتهم الزوجية.وفي كلِّ عقد زواج متعة يتوجَّب على الرجل دفع مبلغ محدَّد لزوجته قبل إتمام الزواج. ويتم تحديد مدة الزواج في عقد الزواج، وكلّ شيء ممكن - من بضع ساعات إلى عدة أعوام. وهناك قيد واحد فقط: إذ يتحتَّم على المرأة أن تنتظر شهري العدة، أي أن تحيض مرتين قبل أن يجوز لها عقد زواج متعة جديد.ويبين الفيلم كيف طراء تعديل جوهرى على زواج المتعة ،فبأتفاق علنى،أو بنية مضمرة يتجنب اطراف الزواج الشباب أن يكون لهم اطفال منه؟! يصف في الفيلم رجل دين مسن هذه القاعدة بأنها معقولة ويقول: "إذا تزوَّجت المرأة بشكل دائم فأين سيكون الاختلاف في ذلك عن الدعارة؟"ودائمًا عندما يتكلم رجال الدين، يبدو أنَّهم يتحدَّثون من عالم خاص بهم.وتبقى أقوالهم مثلما هي ومن دون تعليقات. تمكَّنت المخرجة سودابه مرتضى وبشكل دقيق من تصوير ابتعاد المجتمع عن رجال الدين في مواقف متجدِّدة. إذ نشاهد على سبيل المثال رجل دين شاباً يسافر في سيارة أجرة من طهران إلى قُم تلك المدينة المعروفة بأنَّها مصنع رجال الدين في جمهورية إيران الإسلامية. وما أن وضع السائق سي دي موسيقى في جهاز تسجيل السيارة وارتفع صوت أغنية تقول:("هزي خصرك") حتى طلب منه رجل الدين الشاب أن يغلقه ويحافظ على الهدوء. ثم قال رجل الدين هذا إنَّ "هذه مشكلة"وأشار إلى الناحية الأخلاقية ،ولكنه لم يستطع اخفاء ابتسامته. وفي مشهد آخر يتعرَّف المشاهد على المشكلات التي تدفع الرجال الذين في منتصف العمر مثل سائق سيارة الأجرة هذا إلى زواج المتعة: فالسائق، المنحدر من أصفهان، يبدو أن عمره أكثر من أربعين عامًا، ولكنه ليس متزوجاً ولا يوجد لديه أطفال.وبما أنَّه متقدم في السن فهو يجد صعوبة في استئجار شقة. ولذلك فقد نصحته زوجته السابقة التي

تزوجها بعقد زواج متعة بأن يعقد زواج متعة جديدعلى ارملة عجوز حتى يضمن تخفيف مصاريف النوم فى كمسيون، ولكن في الوقت نفسه يسلط هذا الفيلم الضوء بدقة على رجال الدين الإيرانيين؛ إذ يعرض شخصيات مختلفة تمام الاختلاف: من رجل الدين الشاب الذي كثيرًا ما يبدو غير واثق من نفسه إلى رجل الدين المتعجرف الذي يرتدي عباءة سوداء وعمامة، وحتى آية الله الملتحي في مدينة قُم.ويواجههم الفيلم جميعاً أثناء ممارستهم مهنتهم التقليدية هذه بالواقع الذي يشكِّك وعلى نحو متزايد في حقِّهم القيادي. ويظهر هذا بكلِّ وضوح في المشهد الأخير: حين يرى المشاهِد مجموعة صغيرة من نساء يضحكن في مطعم - ويبدو مكياجهن مثل دمى باربي، يدخِّن النرجيلة وقد أرخين حجابهن إلى الخلف بقدر الإمكان ليكشف عن قدر كبير من شعرهن، ويسخرن بصوت مرتفع، من رجل دين شاب، كان يجلس على طاولة مجاورة. ويقلن أيأكل هذا الروايايتي بالشوكة والسكين مثلنا؟! ويبدو أنَّ فعلهنّ هذا استفز هذا المسكين الذي يركِّز عينيه بمشقة على طبق الطعام ويبتسم بامتعاض،فى الفيلم رجال الدين لا يأتون بالجديد،إنهم يحفظون،اجهزة كمبيوتر،إنسانية،يعنعنون،عن فلان وعن فلان،يقولون طبقا لفتاوى السيد السيستاني دام ظله ويردون على السائلين **السؤال:هل تؤيدون زواج المتعة بالعقد أو بدون العقد ؟ الجواب:زواج المتعة صحيح لابأس به و لكن لايمكن بدون عقد . السؤال: هل زواج المتعة يحل للرجل المتزوج بدون علم زوجته؟الجواب:يحل،السؤال:هل زواج المتعة حلال أم حرام؟ الرجاء منكم التوضيح الجواب:من أقبح الذنوب وأكبر الكبائر أن ينسب الانسان التحريم والتحليل الى الله بغير علم قال تعالى: (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب). وليس كل حلال يجب أن نقبله لأنفسنا ومن يتعلق بنا فلو خطب بنتك مسلم أفريقي شديد السواد نتن الرائحة قبيح الوجه هل تقبله؟! هذا مع أن ذلك حلال بل مستحب. وأما دليل الجواز فهو الروايات الكثيرة جداً الواردة عن طرق أهل البيت (عليهم السلام) والعامة أيضاً لا ينكرون تجويزه في عهد من الرسالة المجيدة وانما يدعون نسخه في ما**

بعد. ،السؤال:هل يجوز زواج المتعة م الغير مسلمة؟الجواب: يجوز اذا كانت مسيحية او يهودية

من الممكن اعتبار موضوع زواج المتعة كعلاَّقة أرادت مخرجة هذا الفيلم أن تعلق عليها صورتها الخاصة عن إيران.صحيح أنَّها صورة كئيبة ومحزنة ومع ذلك يجب علينا أن نأخذها في عين الاعتبار ؟!

هل اصبحت زوجاً للشيعية، بهذا العبث الذى كان شاهداً عليه رواية برهان العسل؟أم مؤمن آثم بفعله يطلب من ربه الغفران،فلم يصل الأغواء لحد [المرود فى المكحلة]ولم يتعدى اللمم ما عرفت موضوعًا أرقنى وأرهقنى مثل هذا الموضوع أصعب ما تكتشف أن ما تتعاطف معه وجدانيًا ليس بالضرورة هو الصواب، فقد يكون وقد لايكون، وأن الصواب المطلق أحيانًا عسير المنال، خاصة إذا كان لدى الطرف الآخر من المنطق بقدر ما لدينا من الشك، وعنده من الحجج بقدر ما عندنا من علامات الاستفهام ليس الأمر أمر لوم أو تساؤل بقدر ما هو أمر تمهيد لرياضة ذهنية مرهقة،ما أظن لها نظيرًا فى قضية فقهية أخرى، فطرفا الحوار مختلفان أشد الخلا **ف**..

-٢

حلقت الْمرأَة الْمجنحَة !! فماتت فِي محراب عينيها ابتهالاتي وانكسرت بالرغبَة راياتي .. أنستني النَّص الْمُقَدَّس.

قالت: هِيتَ لك، ولم أقلْ : مَعَاذَ الله.

نجحت نصائح فرويد : افعل ما تخاف؟!

بدأ النَّحت الْمتكرر . ضَمَّتْنِي بجناحَيْهَا، قصمَتْنِي نصفين كالهلال! دخلتها.. وعندما أوشكت على الذِّرْوَة أخرجت نَفْسِي لأنتهي على بطنها، أحاطت خَصْرِي بساقَيْهَا وهِيَ تقول :لا..لا.. ابْقَ.

الْعراءُ فوق الْعراء.!! ذُقنا الشَّجرَة .. أكلنا منها رَغَدًا.. فبدت سوءاتينا؟! ووصلنا إِلَى حدِّ الْجَلْد. ووصلنا لحَدِّ الرَّجم!!

استكانت وسمِعْتُ لها زَفِيرا .. بَانت فانْتَفَضَت تَغْتَسِل .. وبنت فطفقت علي الْغِطَاءَ .. أُعجبت بِهَا .. سَعَيْت إليها .. وأعرف خاتمتي وانتهيت.

الْقَدَر يعمل إرادته.. فهل يَضُرُّ فِعْلٌ مَعَ إيمان؟! فهل نشاء إلا ما شاء اللَه؟! أيُسعِفني الأشَاعِرَة..أم يُدِينُنِي الْمُعْتَزِلَة؟! أمكتوب فِي الأزل الْغيبي..أم النَّص الْمُقَدَّس بافعل ولا تفعل؟! لم يكن ممكن لآدم أن يعمل بالأمر.. والْمشيئَة كتبت أن تكون حياتُه بالأرض؟! يا لها من إشكاليَّة مَن يُنْشِئ الأفْعال؟

الشيعة ترى أن المتعة حلال للأبد المعتمد من صحاح وسنن ومسانيد وتفاسيرلديهم تبالغ فى استعراض قوة حججهم ،والسنة ترى أن المتعة حرمت لأبد بالاستناد إلى صحاح وسنن ومسانيد وتفاسيرلديهم والغريب والطرفان يحتكمان إلى الآيات القرآنية لكنهما يخرجان منها بتفسيرات ودلالات لا تلتقى أبدًا ولا تتفق مطلقًا، بل يخرج هذا ذاكوكل طرف يلقى بعكس ما يخرج ذاك ويؤكده، ويخرج ذاك بنقيض تفسيرهذا وبسنده بحجته فتظنها نهاية المطاف فإذا بالطرف الآخر يثبت لك أنها بدايته وأنها مردودة وأناحائر فى اختيارى ،خائف أن اكون تزوجت متعة،و أنا ارفض زواج المتعة كما رفضه كبار الصحابة وأئمة التابعين :عمر وعبدالله بن الزبير، والأئمة الخمسة، أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وزيد، وغيرهم كثير، وهؤلاء، لايجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل،وهى تقبل بزواج المتعة،وترى انكارة فى الدين من جانب السنة،كأنكار الكنيسة لمريم المجدالية وعندها جمعًا آخر من كبار الصحابة والتابعين قد ناصروه، منهم عبدالله بن عباس،عبدالله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وابن جريج، وقتادة، وسعيد بن جبير، وسعد بن و *المسيّب، والإمام جعفر،وما أظن أن هؤلاء أيضًا يجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل

* زواج المتعة : هو: أن يتزوج الرجل المرأة مدة معينة ، ينتهي النكاح بانتهائها من غير طلاق وليس فيه وجوب نفقة ولا سُكنى . ولاتوارث يجري بينهما إن مات أحدهما قبل انتهاء مدة النكاح

==

==

ويرى الشيعة بان الرسول لم يحرمه وانا حرمه عمر بن الخطاب استنادا إلى الكثير من الصحابة منهم علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر وغيرهم. والامام علي بن ابي طالب، فيما أخرجه الطبري بالإسناد إليه أنه قال : " لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي "

ويحدثنا بهز قال وحدثنا عفان قالا حدثنا همام حدثنا قتادة عن أبي نضرة قال قلت لجابر بن عبد الله إن ابن الزبير ينهي عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها قال فقال لي علي يدي جري الحديث تمتعنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم قال عفان ومع أبي بكر فلما ولي عمر خطب الناس فقال إن القرآن هو القرآن وإن رسول الله صلي الله عليه وسلم هو الرسول وإنهما كانتا متعتان علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء.

وروى مسلم في صحيحه : عن ابن أبي نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال : على يدي دار الحديث : تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج والعمرة وأبتوا نكاح هذه النساء، فلئن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارةوفي ما ذكره الفخر الرازي قول عمر (متعتان كانتا علي عهد رسول الله حلالا وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء) ويحدثنا موسي بن إسماعيل حدثنا همام عن قتادة قال حدثني مطرف عن عمران قال (تمتعنا علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم ينزل قرآن يحرمها، ولم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء) وعن فضل زواج المتعة عند الإثنا عشرية "الشيعة" عن الباقر قال قلت: للمتمتع ثواب ؟ قال إن كان يريد بذلك الله عز وجل وخلافا لفلان لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له حسنة وإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبا فإذا اغتسل غفر الله له بعدد ما مر من الماء علي شعره قال قلت بعدد الشعر قال نعم بعدد الشعر.قال الإمام ابن المنذر:(جاء عن الأوائل الرخصة فيها ولا أعلم اليوم أحدا يجيزها إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقولٍ يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) .وقال القاضي عياض: (ثم وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريمها إلا الروافض). وقال الإمام الخطابي: (تحريم المتعة كالإجماع إلا من بعض الشيعة ولا يصح على قاعدتهم في الرجوع في المختلفات إلى علي رضي الله عنه وآل بيته، فقد صح عن علي أنها نسخت، ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال: هي الزنا بعينه). وقال الإمام القرطبي: (الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل وأنه حرم، ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض). وهذا الإجماع القطعي في التحريم، مستنده الكتاب والسنة

أما الكتاب: (١) ففي قوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون). والمرأة المتمتع بها ليست زوجة، لأن علاقة الزوجية
==

==

توجب التوارث بين الطرفين، والقائلون بالمتعة من الروافض يرون أنه لا توارث بينهما وهي ليست بملك يمين، وإلا لجاز بيعها وهبتها وإعتاقها، فثبت أن نكاح المتعة من الاعتداء المذموم.

(٢) ومن دلالة القرآن على ذلك أيضاً قوله تعالى: (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) [النور: ٣٣]. ولو كانت المتعة جائزة لم يأمر بالاستعفاف ولأرشد إلى هذا الأمر اليسير، وقد تحققنا قيام أمر الشريعة على اليسر ونفي الحرج.

(٣) وكذلك قوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم.....) إلى قوله: (ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم) [النساء: ٢٥] فلو جازت المتعة لما كانت حاجة إلى نكاح الأمة بهذين الشرطين. عدم الاستطاعة وخوف العنت. وأما استشهادهم بقوله تعالى: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) [النساء: ٢٤] فهذا لا حجة لهم فيه، بل الاستدلال بذلك على المتعة نوع من تحريف الكلام عن مواضعه ، فسياق الآيات كلها في عقد النكاح الصحيح، فإنه لما ذكر الله تعالى المحرمات من النساء قال: (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) إلى أن قال: (ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات.....) [النساء: ٢٥.

ولكن للشيعة رأى مخالف عن (النكاح المنقطع فى القرآن الكريم) ويرون الأصل في مشروعيته قوله سبحانه: (وحلائِلُ أبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أصْلابِكُمْ وأنْ تَجْمَعُوا بينَ الاختَيْنِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إنَّ الله كانَ غَفُوراً رَحيماً*والْمحْصَناتُ مِنَ النّساءِ إلاّ ما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ كِتابَ الله عَلَيكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذَلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسافِحِينَ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَريضةً ولا جُناحَ عَلَيكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الفَريضَةِ إنَّ الله كانَ عَليماً حَكيماً) (فالآية ناظرة إلى نكاح المتعة وذلك لوجوده): إنّ هذه السورة؛ أي سورة النساء، تكفّلت ببيان أكثر ما يرجع إلى النساء من الأحكام والحقوق، فذكرت جميع أقسام النكاح في أوائل السورة على نظام خاص، أمّا الدائم فقد أشار إليه سبحانه بقوله: (وإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامى فَانْكِحُوا ما طَابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ ورُباعَ وإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعدِلُوا فَواحِدَةً...)وأمّا أحكام المهر فقد جاءت في الآية التالية: (وآتُوا النّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنيئاً مَريئاً)(٤). وأمّا نكاح الإماء فقد جاء في قوله سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا أنْ يَنْكِحَ الْمحْصَناتِ المؤْمِناتِ فَمِن مّا مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ المؤْمِناتِ والله أعْلَمُ بِإيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض فَانْكِحُوهُنَّ بِإذْنِ أهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالمعْرُوفِ مُحْصَنات غَيْرَ مُسافِحات ولا مُتّخِذاتِ أخْدان...)(٥). فقوله سبحانه: (مِنْ مَا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ) إشارة إلى نكاح السيّد لأمته، الذي جاء في قوله سبحانه أيضاً: (إلاّ علَى أزْواجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ...)(٦). وقوله سبحانه: (فَانْكِحُوهُنَّ بِإذْنِ أهْلِهِنَّ) إشارة إلى الزواج من أمة الغير.
==

اثارنى تكرار النسخ في مسألة المتعة وتبين لى انه أمر اختلف فيه أهل العلم، يرى اهل السنة ان الرسول قد نهى عنه بوم خبير أو يوم الفتح والذين قالوا : حرم يوم خيبر قالوا : ثم أبيح في غزوة الفتح، ثم نهي عنه في اليوم الثالث من يوم الفتح. وقيل : نهي عنه في حجة الوداع، قال أبو داود : وهو أصح ويقول الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : لا أعلم في الإسلام شيئا أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة .. وترجيح النووي فيه بعد سرده قوله: والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين،وكانت حلالا قبل خيبر ثم أبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوطاس لاتصالهما،ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريما مؤبدا إلى يوم القيامة واستمر التحريم. شرح مسلم ٥٥٣/٣. فلماذا حللت ثم حرمت، ثم حللت ثم حرمت؟ ولماذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلل شيئا قد حرمه من قبل؟ ولماذا يحلل شيئا شنيعا ولو لفترة مؤقتة؟.اللهم لا اعتراض لكن الذي اختاره ابن القيم أن النسخ لم يتكرر في مسألة المتعة، فعلى فرض تكرار النسخ فليس شيئا من ذلك من تلقاء نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من عند الله تعالى، فليس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مبلغا ومخبرا عنه، وربنا سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه،ويسعفنى قول ابن بطال: وهذا حجة قاطعة في أنه يجب التسليم لله في دينه، ولرسوله في سنته، وبيانه لكتاب ربه، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة في شيء من ذلك، فإن ذلك محنة من الله لعباده، واختبار لهم ليتم البلوى عليهم ويختبر صلابة ايمانهم . وهى ليست الغواية الأولى ،سبقها غيرها ، كتحويل القبلة والإسراء والمعراج وكل هذا يمر سهلا على من أمن إن الإسلام دين الله وأن محمداً رسولة

==

فإلى هنا تمّ بيان جميع أقسام النكاح فلم يبق إلاّ نكاح المتعة، وهو الذي جاء في الآية السابقة، وحمل قوله سبحانه: (فما استمتعتم) على الزواج الدائم، وحمل قوله: (فآتوهنّ أُجورهُنّ) على المهور والصدقات يوجب التكرار بلا وجه، فالناظر في السورة يرى أنّ آياتها تكفّلت ببيان أقسام الزواج على نظام خاصّ، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بحمل الآية على نكاح المتعة كما هو ظاهرها أيضاً.

،جاء مبلغ وليس عليهم بمسيطر، يقول بما يأتى به الوحى ..وأغلب الظن ان الله قد اراد برحمته أن يظل هذا الموضوع مثارًا، بل مثيرًا للخلاف، لحكمة ربما كشفتها لنا الأيام!

تم بحمد اللة

.....

المؤلف فى سطور

الاسم : **اشرف مصطفي توفيق محمد**

وشهرته اشرف توفيق

العنوان:١٧ شارع احمد حسني –رابعة العدوية-مدينة نصر

البريد الاليكتروني : Ashraftawfik11@gmail.com

الجنسية :مصرى

حاصل على الدبلوم العالي للدراسات الإسلامية بامتياز وكان ترتيبه "الاول"

- حاصل على ماجستير قانون

- عضو أتحاد الكتاب ١٩٩٥، عضو أتيليه القاهرة١٩٩٩

- نشر عده كتب أهمها:نساء الملك فاروق (٣ طبعات)،جرائم المرأة "العام السري للنساء" جزئيين (طبعتين)،المعارضة (جزئيين)

حاصل على جائزة سعاد الصباح للدراسات الإنسانية ١٩٨٩م عن كتاب: (المعارضة)،

حريم فى حياة الزعيم سعد زغلول "الثورة التى ايدها الحرملك" حاصل على شهادة تقدير من مركز بحوث-حزب "الوفد"